أحمد إبراهيم :

هذه عقيدتي



حوار: وليد الزريبي

تانيت

أحمد إبـراهيم :

هذه عقيدتي

أحمد إبراهيم:

هذه عقيدتي

حوار:

وليد الزريبي

تانيت

وليد الزريبي

***

أحمد إبراهيم.. هذه عقيدتي

***

منشورات

تانيت

(الدار البيضاء – تونس – طرابلس)

الطبعة الثانية – يوليو – 2009

***

تصوير: أحمد السيفاو

***

تقديم

أحمد إبراهيم ليس اسماً محايداً، هو علامةٌ على قضيّة أكثر مما هو اسم عَلَم عاديّ، بل إن عاديّة الاسم (خلوّه من اللقب مثلاً) هو لبّ مفارقةٍ أصيلة، فهو المفكّر والمناضل الذي جعل من الجماهير (العَمَلة، الفلاحون، صغار الكسبة،...) قضيته الرئيسة، فنظر إليها لا في عاديّتها وبساطتها بل بصفتها أصلاً لصنع الحياة واستمرارها، ليقلب بذلك ميزان النظر إلى العلاقات والأشياء، وليعيد بذلك ترتيب سلّم القيم السائدة.

عندما التقيت به للمرة الأولى في حوار مع هيئة تحرير مجلة فضاءات، بصفتي مندوبها بتونس، وبصفته مشرفاً عاماً على إصدارها، وعندما استمعت إليه جيداً في هذا اللقاء، خرجت لأسرّ إلى صديق لي قائلاً: للمرة الأولى أدركُ أنني لا أكون إلا قومياً، لأن جميع ما يقوله الرجل الآن، وجميع ما يسببه في ذهني، وما يتركه في نفسي من ألم التفكير في الشأن العام والهمّ القومي هو ما كنتُ أتجنّب عبأه. أعرف جيداً أن الكثير من المثقفين والكتّاب والأدباء الذين ينشغلون بنصوصهم فقط دون أن يبحثوا لها عن أثر فعلي في الواقع الاجتماعي، يصيبهم مثلما أصابني من تغيّر عندما ينصتون إلى أحمد إبراهيم وهو يشرّح الواقع العربي، وينزع عنه أغلفته، وادّعاءات

حكوماته، ودجل حكّامه، فيفضح المسكوت عنه سياسياً، ويدعو إلى إعادة النظر والتساؤل في الأسس الخاطئة وكشفها واستبدالها.

أريد أن أؤكّد هنا أن صوتا استشهاديا يكمن في أفكار أحمد إبراهيم، وأقول ذلك لأن قيمة الشهادة – كما أفكّر – تعني المستقبل، فالذين يموتون من أجل قضية ما – الحرية مثلاً – إنما يحلمون أن تتحقق الحرية، أي أنهم يحلمون بمستقبل أفضل على الأرض، ويناضلون من أجل عالم جديد لا غبن فيه ولا قهر.

لقد شرعت في هذا الحوار متمثّلاً حواراتي السابقة، وهي تجارب أردت لها أن تتصاعد وترتقي، إلا أنني في حواري مع الأستاذ أحمد إبراهيم اكتشفت أيضاً أن السؤال قد – وربما يجب – أن يحيل إلى آفاق وأبعاد مختلفة لم أكن أعنيها، طالما أن الذي أحاوره هو مفكر منقطعٌ حدّ التصوّف إلى قضيته الجادّة والعادلة، إلى قضية مرجعيتها المستقبل، لأنها تمثّله.

وليد الزربي

الحوار

□ هل يستطيع المثقف العربي النّجاة من السؤال السياسي؟

■ وهل يفكر المثقف في النجاة من السؤال السياسي؟

هل يمكن أن يعتزل الحياة، ويبتعد عن الناس الذين هم في الحقيقة مصدر الثقافة وهدفها؟ ليدعي بأنه ينجو من السياسة، فيكون سلبياً، أو بلا رسالة، أو بلا موقف، الأمر الذي يقود بالضرورة إلى التشكيك بثقافته والتزامه الأخلاقي أساساً.

فأنت مهما تكن لست سوى فرد من جماعة، تَمَيَّزتَ بوعيك، أو بعلمك، أو بمعرفتك الواسعة، وأمكنك أن تجد السبيل إلى العمل، أو إلى التعبير، أي إلى الموقف السليم اجتماعياً ومعرفياً، فأنت بهذا مواطن مثقف يعرف موقفه من الناس ومن الجماعة التي ينتمي إليها فيدافع عن وجودها ومصالحها، ويحمل رسالتها الحضارية إلى العالم ويرسخ قيمها ومثلها العليا، فهو تعبير مباشر عن هذه الجماعة بحسب كفاءته، التي يحددها الوعي والاطلاع والمعرفة، ويزكيها ويثيرها التزامه بمقتضيات ذلك الوعي وتلك المعرفة.

ومن هنا يمكننا أن نقول بأن ليس كل من نسميهم مثقفين هم كذلك، فالثقافة مسئولية وإلتزام، ورسالة، وموقف، ورؤيا، ومشروع حضاري، وليست تجميع كليشيهات ومراكمة محفوظات.

كما أن الثقافة ليست إنجازاً ذاتياً، أو محاولة للخلاص الفردي، وإنما هي عمل نهضوي يستهدف الوصول إلى أهداف مجمع عليها، وانطلاقاً من هذا، واستناداً إليه، كيف يدعي مثقف ما بأنه نجا من السياسة.! أليست الثقافة تعبير عن مجتمع وحضارة وقيم وأهداف ووسائل وأساليب للحياة.

أليست السياسة هي تعبير عن مصالح مجتمع وعن ثقافة بعينها؟

إن السياسة هي ما يتولد عن ثقافة في شأن معالجة القضايا العامة، فالسياسة الرديئة هي تعبير عن ثقافة رديئة، والسياسة الثورية هي تعبير عن ثقافة ثورية.

قلنا مرة: بأن ثقافة الثورة، هي ثورة في الثقافة، والمثقف الحقيقي، الذي يتميز بوعي حقيقي، وثقافة عميقة، هو مثقف نقدي وعضوي، بمعنى أنه مثقف ثوري في حقيقته، فهو يعرف ما يجري ويفرق بينه وبين ما يريد، يعرف الظروف السائدة ويسعى إلى تغييرها بما هو أفضل منها وأكثر تقدماً وإشراقاً، وأزعم أن هذا هو السياسة.

فالعصر الآن هو عصر الشعوب، عصر الجماهير الغفيرة، عصر الجماعية، حيث يسعى كل فرد دون تحديد لطبيعة عمله أو تأهيله العلمي أو الحرفي إلى القيام بدوره وأداء واجبه في مجتمعه، للمساهمة في بناء الحياة والحضارة والتقدم.

□ **هل أصبح المثقف العربي الضمير المعطوب لهذه الأمة؟**

■ لا، لا أوافق على هذا الحكم المتسرع، كما لا أوافق على التعميم، فعلاً يجب أن نقول بأن المثقف هو ضمير أمته اليقظ، المتنور والشجاع، والذي عليه بحكم ما يحمله من ثقافة ترتب عليه مسئولية كبيرة أن يكون دليلاً، وقائداً، وكشافاً أمام أمته وثقافتها، وبناء حضارتها، وتحقيق طموحاتها والدفاع عن كيانها وقيمها ومثلها العليا، فهو الأمين على رسالتها، وهو البوصلة التي تحدد الإتجاه الصحيح انطلاقاً من العلم والمعرفة، والفن، والفلسفة، والقيم والإيمان، هذه التي نذر نفسه لحملها وللتبشير بها، وإبلاغها إلى الناس.

أعلم بأن بعض المثقفين يخون هذه الرسالة، ويفرط بها، ويستبدلها بالإنتهازية والنفاق، ويتجه إلى الإرتزاق، ويعمل ضد مستقبل الأمة، فيزيد الواقع المتردي في وهدة التخلف والتبعية، والإقليمية والتقسيم، ويحاولون إسباغ الشرعية على حالة التجزئة، والهيمنة الأجنبية، فيظهرون الاخلاص لهذه الكيانات القزمية التي أقامها الأجنبي على أنقاض كيان أمتنا الشرعي ويسمونها دولاً، وهي ليست سوى زرائب ومعتقلات تعيد إنتاج الاحتلال الأجنبي وتعيد إنتاج الإقطاع العائلي، والقبلي، والتخلف، والمرض، والجهل، وترتكس الأمة في أوحالها عاجزة عن التعبير عن نفسها وعن الدفاع

عن وجودها، وعن تحقيق مستقبلها الحر الكريم.

ولذا فإني أقول بأن بعض من يسمَّوْن مثقفين هم معطوبو الضمير، لكنه إلى جانبهم وبقربهم وبعيداً عنهم مثقفون هم ضمير أمتهم، وتجسيد لقيمها وحضارتها وثقافتها ومستقبلها.

□ هل يمكن اعتباركم المشروع الفكري الوحيد الذي خرج من صلب التحرّك الجماهيري واندمج فيه بصورة نهائية؟

■ المشروع الجماهيري مشروع فكري وفلسفي ممتد عبر التاريخ وجد تعبيره في الكتاب الأخضر للمفكر معمر القذافي مجسداً حركة الثورة ضد الظلم، والقهر، والاستغلال، والاحتكار، والتفاوت في السلطة والثروة، واتجه نحو تحقيق العدل الكامل عملياً على الصعيد السياسي والإقتصادي والاجتماعي، مقدماً حلاً علمياً للصراع التاريخي بين الجماهير وخصومها بحسم النزاع نهائياً لصالح الشعب، بإيصاله إلى السلطة وإسقاط كل أشكال الحكم المعروفة التي تعاقبت على المجتمع الإنساني بإقامة سلطة الشعب التي يمارسها الناس كافة دون استبعاد أحد ولا إقصائه من خلال المؤتمرات الشعبية التي يقيمها الناس أنفسهم بحسب أماكن وجودهم وسكنهم ومن خلال اللجان الشعبية التنفيذية التي يكلفونها بتنفيذ قراراتهم.

ومن هنا فإن المشروع الجماهيري، وهو مشروع الشعوب، لابد له ضرورةً من قيام الناس (جميع الناس) بممارسة السلطة بشكل مشترك

وديمقراطي، وبالتراضي بينهم وألا يسمحوا بنشوء سلطة أخرى غير سلطتهم الوحيدة التي لا تقبل المشاركة ولا التقسيم مع غيرهم، إن السلطة اجتماعية، وإن الحياة جماعية، وإن العدل أن يتساوى أفراد المجتمع كلهم في الحقوق، وأن تقسم الواجبات بحسب القدرات الجسمانية والمعرفية، فالمشروع الجماهيري إذن ليس مشروعاً فردياً ولا حزبياً ولا طبقياً ولا يمتّ لمثل هذه الحالات بأي صلة، فهي حالات - كما تعرف - تنتمي إلى عصر آخر وثقافة أخرى، غير ثقافة عصر الجماهير، وعليه فإن المشروع الفكري المعبّر عن هذه الفلسفة يكون بالضرورة جماهيرياً وشعبياً وممتداً من الماضي البعيد، إلى الحاضر المضطرب، إلى المستقبل الذي تتحدد ملامحه من خلال نضالات الشعوب وقواها الثورية الحية.

فعندما يتظاهر العمال والفلاحون، أو الطلاب، أو يؤسِّسُ المثقفون لموقف مطلبي ثوري، جماعي، وعندما تشعر الناس بنهب ثرواتها، أو سرقة مقدراتها، أو يشعر العاملون في الإنتاج بالغبن لسرقة جهدهم وعرقهم، فإن ذلك في حقيقته موقف ثوري جماهيري، حتى عندما يخرج الناس في شوارع المدن يرفضون قرارات الحكومات ويسفهون البرلمانات، ويضربون عن العمل لصالح الاحتكارات، فإنهم يؤسِّسون لعصر الجماهير، ولذا لا يمكن القول بأن ثمة مشروع فكري أو سياسي وحيد يجسد الفكر الجماهيري، والنظرية العالمية الثالثة.

إن أولئك الذين لم يقرؤوا الكتاب **الأخضر** وربما لم يسمعوا به حين يعبرون عن رفضهم لعلاقات الظلم والاستغلال مع الحكام، ومع أرباب العمل فَهُم يهيئون في الواقع لقيام النظام الجماهيري نظام سلطة الشعب؛ لأنهم يعلنون عدم صلاحية نظم القمع والنهب والظلم، ويعبرون عن سقوطها عملياً وفكرياً وأخلاقياً.

□ هل نحن أمام عمل فكري يرتهن بمهمّة واحدة هي مخاطبة الجماهير وإعدادها سياسيّا، وكون هذا العمل الفكري سياسياً صرفاً، هل يفقره ثقافياً؟

■ الفقر الثقافي يتجسد في غياب الشعب عن الصورة، في تغييب الجماهير عن الفعل الإيجابي، والحيلولة دون تعبيرها عن مصالحها ورؤاها ومشاعرها، إن الثقافة هي ثقافة الشعب، هي إنتاج الجماهير، فالذين يعتقدون بأنهم ينتجون ثقافة أعلى مستوى من ثقافة الشعب، وهم لذلك يتوهمون بأنهم يعلمون الجماهير، هم جهلة ولا يفهمون معنى الثقافة، لأن الثقافة الحقيقية هي تلك التي نتعلمها من الشعب، من الناس، من الآباء، والأجداد، والمعلمين، والفلاحين، والعمال، وصغار الكسبة؛ نتعلمها من الناس الحقيقية التي لم يجر تزوير ذاكرتها ولا ضميرها، ولا شراء مواقفها، ولا تغيير تحالفاتها، هي مع نفسها، مع قيمها ومثلها العليا، مع إيمانها وذاتيتها وهويتها وحقيقتها الأبدية، مع شخصيتها وكيانيتها، لم يجر غسل

دماغها؛ فالثقافة منتج جماهيري، ينتجه المجتمع، ويهتم بمخاطبة أفراد المجتمع لضمان الحياة الراقية ولتحقيق الرخاء والرفاهية والسلم الاجتماعي عن طريق تحقيق أعلى درجات الإنتاج وتحقيق العدالة والمساواة وكرامة الإنسان، ولذلك فإن الثقافة تهتم بل يجب أن «ترتهن» لمخاطبة الجماهير وإعدادها، ليس سياسياً فحسب؛ ولكن بالإضافة إلى ذلك إعدادها نفسياً ومعرفياً وفلسفياً وجمالياً وفنياً وتقنياً وتنظيمياً، وقبل ذلك تربوياً ودينياً، وكل ذلك ستجده يلتقي نهاية مساره بالسياسة، لأن ذلك كله يشبه الأواني المستطرقة التي تصب بعضها في بعض، وينقسم ما يدخل إحداها على البقية منها.

فالثقافة هي المشاعر، والأحلام، والمطامح، والمطالب، والسعادة، والشقاء، والعمل، والنظام، والنضال، والمقاومة، والمعاناة، والأمل، والحياة، والقيم.

فمن منا يمكنه أن يدعي بأنه قادر على إنتاج هذا كله أو بعضه؟ إلا أن يكون واهماً أو جاهلاً بحقيقة الموضوع المعقد جداً الذي هو الثقافة. فالثقافة إنجاز إجتماعي جماعي، يضع بها المجتمع الذي ينتجها ملامحه وصورته وشعوره ووجدانه وعقائده وتجاربه، ورؤاه في الحياة وفي الموت، وفي السعادة، وفي الشقاء، وفي كل ما له علاقة بالإنسان أو بالحياة، أو بالكون؛ ولا ينتجها المجتمع فجأة، بل يظل يمارس إنتاجها على الدوام مثلما كان دائماً؛ ومن هنا لن تكون الثقافة عملاً سياسياً صرفاً مقصوراً على خطاب مذهبي، أو معرفي محدد.

ولن تفلت السياسة ذاتها من مخالب الثقافة أن تمسك بها وتحتويها وتوجهها الوجهة التي تصطبغ بها وتتجه إليها، وفي التاريخ الاجتماعي للشعوب فترات أثّرت فيها السياسة تأثيراً كبيراً على الثقافة، وأمكن تحقيق منعطفات هامة بتأثير المبادئ السياسية التي أصبحت قيماً ثقافية، ولكنها رغم ذلك لم تلخص الثقافة ولم تنفرد بها وإنما التحقت بها ودخلت فيها وصارت منها فحسب.

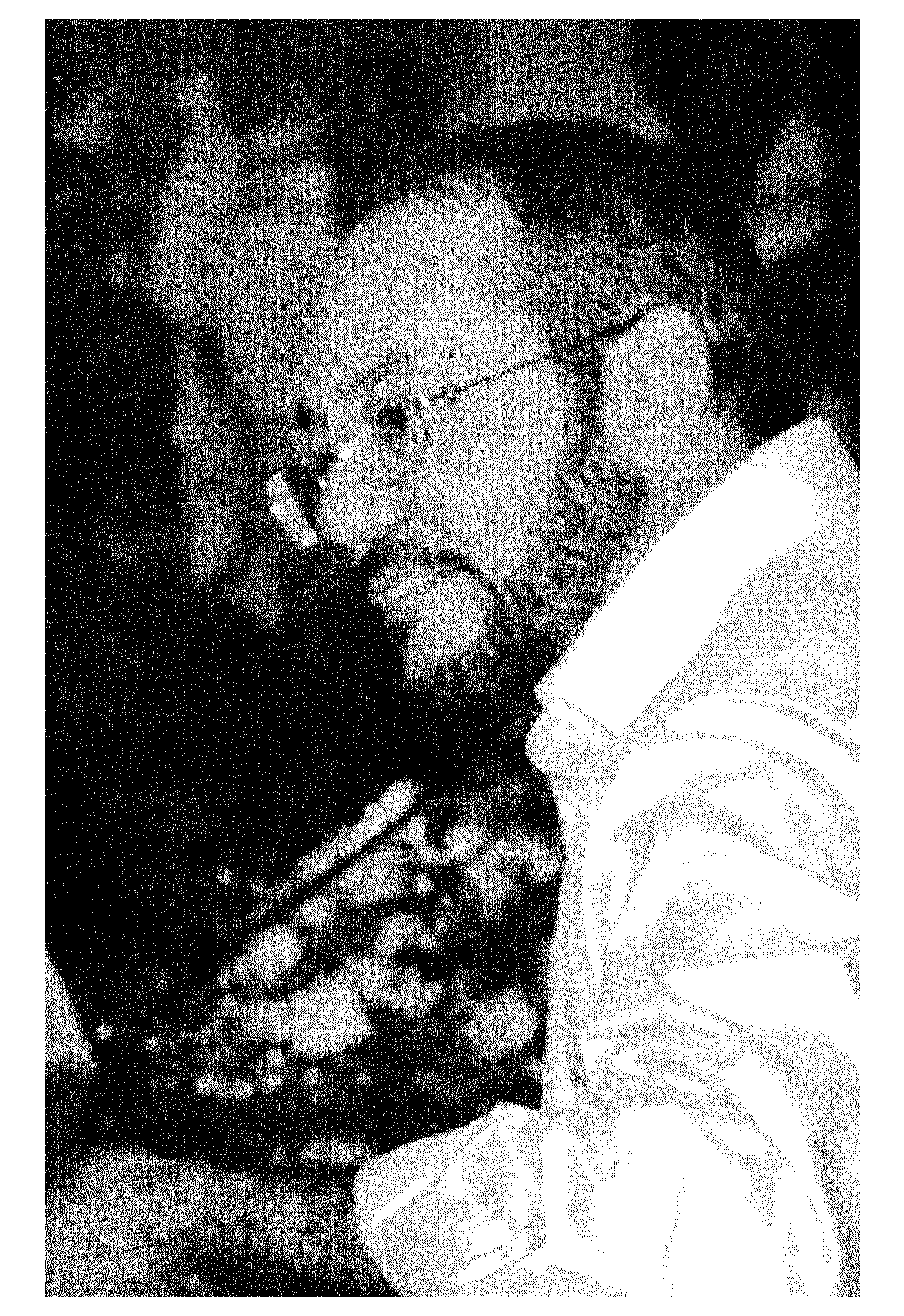
□ **بأي معنى يمكن بلورة التاريخ العربي ككتلة واحدة متّصلة وما هي استراتيجية أن نكون كذلك؟**

■ التاريخ العربي هو تاريخ إجتماعي، بمعنى أنه تاريخ شعب، أو مجتمع، تاريخ أمة، وهو في العادة – وهذا عام في تاريخ جميع الأمم – متنوع ومختلف ومتعدد، وقد يُختلف على تأويل بعض أحداثه، ضمن وحدة الإطار الاجتماعي. فالعرب أمة موجودة في الواقع على أرضها وفي وطنها، فإذا تعددت النظم السياسية لظروف معروفة ولأسباب محددة، فإن هذه الأمة تظل تفرض حقيقتها القومية في كيانها العربي لغةً وديناً، وحضارةً وثقافةً، وأصلاً، وتراثاً مشتركاً، مرتبطاً بمنظومة قيمية وأخلاقية وإصطلاحية، متفق عليها، حتى لا تكاد تميز الإختلافات السياسية أو التنظيمية أو المذهبية أو حتى الدينية، مشمولاً بوحدة معرفية فكرية تحدد المعايير النظرية والعملية للحياة بما تحويه من تنوع، غير مكترثة بالتقسيم، أو

التجزئة، أو الإنفصال، أو القضم، أو الاحتلال، فرغم الدمار الذي لحق بالكيان القومي خلال حقب تاريخية متواصلة، والكوارث والهزائم، والنكبات فإن أحلام الأمة، ومشاعرها، ومطالبها، ومواقفها (التي يجسدها الفرد العادي)، لم تتبدل، وظلت تحن إلى إحراز نصرها الذي لم يأت، وإلى بناء كيانها الذي لم يتحقق، تراه الأمة قريباً ويراه بعضهم بعيداً.

أما ما يتعلق بالحديث عن الاستراتيجية، فهو حديث آخر. يمكننا في هذا الوقت الحديث عن قناعات وتوجهات وبرامج عمل، وربما خطط مرحلية وغيرها، فلنقل بأن المحافظة على اللغة العربية، وعلى الدين الإسلامي وعلى التراث، والسعي إلى تحقيق منجز مادي حضاري من مثل النجاح في نقل التقنية، والتركيز على دعم التعليم، واحراز نجاحات إدارية مثل الحصول على حرية التنقل والتملك والإقامة، وبناء منظومة اقتصادية (مثل سوق مشتركة)، والتوحيد الجمركي والسفر دون تأشيرة دخول، ودون جواز السفر، يمكن أن تقرب الهدف الذي تستطيع من خلاله الجماعة العربية التعبير عن نفسها ولو في أضيق الحدود.

على أن ذلك لن يكون دون قرار عربي مستقل، لأن الاعتراض على هذه المطالب البسيطة قائم من طرف القوى المهيمنة على النظام العربي الرسمي.



□ **قلتم إننا وقعنا في حفرة عمرها ألف سنة، كيف ذلك؟**

■ هذا هو عمر التجزئة وعمر الصراع على السلطة، الرقم الصحيح ربما أكثر من ذلك منذ الفتنة الكبرى ونحن ندفع ثمن الصراع على السلطة، ولم يقف الأمر عند ذلك الصراع وفقاً لأطماع الرجال، ورغبات الطامعين، وإنما تراكمت العوامل لتوجد في خضمها صراعات دينية ومذهبية، وتجلب الاحتلالات الأجنبية، وتدمر تماسكية الجماعة العربية الإسلامية، فمن العائلات المقدسة إلى حكم العائلات الأعجمية، انتهاء بالاحتلال الأوربي، مروراً بمراحل من الإستعمار تطول تفاصيلها وتمتد آثارها وتأثيراتها على الفكر والسياسة والحياة.

نجد أمتنا الآن بعد أكثر من ألف سنة وقد توقف دورها في الحضارة البشرية، ولم تتمكن من أداء رسالتها للعالمين، بل ليست قادرة على الدفاع عن وجودها، ولا على المحافظة على مصالحها، وهي تتراجع وتنهزم أمام حثالات من الأفاقين الأجانب والمحليين، الذين ينتهكون مقدراتها ويحتلون أرضها، ويخربون اقتصادها ويهينون كرامتها ويذلونها، ويحولونها إلى قطعان من العبيد في أسوار الإقليمية الضيقة، ليجعلوا منها أمة من الهنود الحمر الجدد، بلا أمل، وبلا مستقبل، وبلا كرامة.

هذه هي الحفرة التي أعنيها، وقلت بأننا قد وقعنا فيها ونريد الآن

الخروج منها، والذي يصل إلى قعر البئر ليس أمامه من طريق للخروج منها سوى إلى أعلى، ليس هناك طريق نسلكه إلا إلى أعلى وليس في يدنا شيء لخسره الآن غير قيودنا، غير هذه المعتقلات التي يقسّمون بها شعبنا ويسمونها زوراً دولاً وحكومات.

□ دعوتم إلى إعادة النظر في ما يبدو مسلّمات التاريخ العربي الاسلامي برمّته ذاهبا في السؤال حدّ قولكم: من هو أبو هريرة؟ ألا تعتقد أن ذلك سيقلّب ضدكم الكثير من الألسن؟

■ الإسلام الحنيف دين إلهي، وليس ديناً من وضع بعض الناس مثل بقية الديانات، فكل أحد غير رسول الله ﷺ نرد قوله عليه إذا خالف الوحي الإلهي، الذي أبلغنا به رسول الله من لدن الله تعالى، قرآناً عربياً غير ذي عوج، مفهوماً ومعلوماً ومؤكداً، وكاملاً غير ناقص، لا يحتاج إلى شيء آخر يسنده، لا من قول أحد ولا من فِعله.

فالإسلام هو ما جاء في القرآن الكريم من قول الله تعالى مباشرة من طريق رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام.

أما أقوال الرجال، فقد قيلت لأسباب، وأغراض، وظروف نعرفها في علم الجرح والتعديل، وما صحّ منها يظل قول رجل من الناس، قولاً وضعياً يستحسنه من يستحسنه، ويستقبحه من يستقبحه، ولا علاقة له بالدين.

فليس في الإسلام إلا كتاب واحد، ورسول واحد، والمسلمون

كافة مسئولون على تبليغ ذلك وحده كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن زاد فيه أو أنقص منه فقد أتى باطلاً، ينظر إليه بقدره، خطأ، أو ظلماً، أو بهتاناً عظيماً، أو كفراً صراحاً، أو بغياً على الناس وعلى الدين.

سواء من الناس من روى حديثاً أو قال برأي، أو أحدث في الناس بدعة، فالإسلام وحي من الله، دين واحد وكتاب واحد ونبي واحد، إسلام لا مذاهب فيه، ولا أراء، ولا اجتهاد في الدين والاجتهاد يجوز في أمر الدنيا كله، ولكنه لا يجوز في الحلال والحرام وفي ما فرض الله وما أمر به وما نهى عنه.

والله قال لنا ﴿وقُلِ اعْمَلُوا..﴾ والرسول قال: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» نجتهد في دنيانا وفي عملنا، نكد ونكدح، ونأتي بالأفكار والآراء والنظريات فيما يخصنا وليس فيما يخص الله تعالى شأنه.

نعمل لزيادة علمنا، ولنحسن من كفاءتنا، ونجد السبل التي تكفل لنا التقدم والنهوض، نطور الزراعة والصناعة، ووسائل الاتصال، والبناء، وعلم الأرض، والموارد، ونحسن فهمنا للحياة وللتنظيم الاجتماعي، فنطور مؤسساتنا، ونغيّرها بحسب فهمنا وعلمنا، وجدنا واجتهادنا.

لكننا لا نكتب ديناً بأيدينا ونقول هو من عند الله كما فعل الكفار، فإن ذلك محرم علينا، ولا يحق لنا أن نقبله إن فعله غيرنا.

والإسلام الذي نعرف، لا يحول بيننا وبين الاجتهاد فيما يعنينا وما يخصنا من شأن الحياة وترقيتها وتطويرها وتنظيمها وبنائها على أسس سليمة تنطلق من العدل ومن المساواة ومن احترام حقوق الإنسان فرداً وجماعة ذكراً وأنثى صغيراً وكبيراً.

وأن نغير في السياسة وفي الاقتصاد، وفي التربية والتعليم بما يوافق مصالحنا وعصرنا واحتياجاتنا.

ويجب عليّ أن أقول بأن الأمة الآن رشدت وقد اتبعت محمداً خمسة عشر قرناً، لم تعد عالة على أحد، ولم تعد غافلاً سفيهاً يلزم له وصي أو ولي أمر يتحكم فيه.

أمة الإسلام الآن مسئولة عن نفسها، وقادرة على إدارة أمورها بنفسها، فهي الإمام وهي الخليفة، وهي المفتي، وهي صاحبة الدين، فمنذ الآن يجب أن يكون شعارها: إسلام الأمّة لا إسلام العِمة.

وضمن هذا الإطار، لايمكنني الحديث عن مسلمات في التاريخ أشرت إليها في سؤالك، فإن كانت هذه موجودة، فلا أدري أهي مع هذا الذي أقوله أم هي ضده؟ فإن كانت تسنده فلا بأس بها، ولا بد أن لها أصلاً من القرآن، وإن كانت غير ذلك فلا أظن المسلمين معنيين بما يخالف الوحي الذي جاء من الله تعالى بالعلم والمعرفة، والخير الغزير والأخير، الذي هو حجة الله تعالى على الناس.

□ هل حقا مازلنا في مرحلة تأسيس الاستقلال ونحن في بداية الألفية الثالثة؟

■ نعم نحن لم نحرز استقلالنا القومي، قرأت كتاباً مرة لكاتب عربي – أظنه من تونس – يتحدث عن مرحلة سماها «الاستقلال الثاني»، وهو يقصد أن الاستقلال الشكلي الذي نشأت بسببه الحكومات الإقليمية التابعة للإستعمار لم يحقق حرية الوطن ولا حرية المواطن، وهو صادق في رأيه ذلك.

فالاستقلال الحقيقي، ليس إطلاق اسم الجمهورية، أو اسم دولة على مستعمرة من المستعمرات الأوربية، وليس علماً ولا نشيداً، ولا حاكماً محلياً، بدلاً عن الحاكم الأوروبي، أو الرومي كما كنا نسميه، ليس مجرد أحزاب ومنظمات مرتهنة للحكام والمخابرات.

إنما الاستقلال هو قبل كل شيء، قدرة وسيادة، وحرية وتحرر، وتقدم ونهضة، هو نهوض شامل سياسي، واقتصادي، واجتماعي، تربوي، وتعليمي، وصحي، وخدمي.

هو ثقة في النفس بالقدرات والإمكانات المتوفرة لدى الأمة وصلاحيتها لبناء التقدم ومجتمع الحرية الذي يكون كل أفراده أحراراً متساوين، «لا مظلوم ولا مهضوم ولا سيد ولا مسود بل أخوة أحرار في وطن ترفرف عليه راية الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية».

فهل في هذه الكيانات التي تسمى نفسها دولاً في منطقتنا ووطننا العربي من ينطبق عليه شيء من هذا؟

أليسوا مجرد مستعمرات مرتهنة بلا سيادة، وبلا استقلال؟ أليسوا مجرد شحاذين يَمُنُّ عليهم مستعمروهم السابقون بفتات موائدهم؟

أليست بعض هذه «الدول» مجرد عائلات لا تفكر إلا بمصالحها الخاصة جداً والشخصية جداً؟

ألا ترى بأن هذه الدويلات مجرد معتقلات جماعية لمنع أمتنا من العمل الحر، ومن المقاومة ومن البناء، ومن التعليم، ومن الصناعة، ومن كل ما له علاقة بتقدم الحياة في بلادنا؟.

نعم، أقول لك بأننا لسنا مستقلين، أمتنا حُرِمَت من نيل استقلالها، ومزق كياننا ودمرت أحلامنا في النهوض وأقيم على أنقاض كيان الأمة هذي الكيانات المسخ التابعة للإستعمار، والمُسيّرة من قِبل الإمبرياليين وأعوانهم المحليين.

أن يحدث هذا على أبواب الألفية الثالثة، هو أمر يؤسف له خاصة وأن الهوة التي تفصلنا عمن حولنا تتسع باستمرار، وبسرعة كبيرة، ونحتاج لقفلها إلى مضاعفة الجهد، والجدية، وتقديم تضحيات كافية من أجل تغيير واقعنا المزري، وإيقاف معاناة شعبنا العربي من أجل ضمان المستقبل وبناء الحياة الحرة الكريمة له.

□ ماهي أهم سمات شروط المثاقفة والمحاورة مع الآخر؟

■ بقدر أهمّية المثاقفة مع الآخر، فإنها تكون بلا جدوى ولها آثار خطيرة، حين تكون الأمّة في حالة تدهور وانحلال، وتتمثّل حال التّدهور في عجز المنظومة الثّقافيّة والفكريّة عن استيعاب متطلبات النّهوض للأمّة.

وفي جهلها الأسباب الحقيقيّة لذلك العجز، الأمر الذي يجعلها تعتمد أسباباً وهميّة أو افتراضيّة لا تصدر عن فهم حقيقي، واستيعاب علمي للحالة القائمة في الواقع، وكثيراً ما يحدث ذلك بسبب محاولة التّماهي مع الآخر، ومحاولة انتساخ مناهجه وأساليبه وأجوبته عن أسئلة تطرح عليه في مكانه وزمانه، و وفق ظروفه وأحواله الخاصّة، ظناً بأن ما نجح به بعضهم يمكنه أن ينفع غيرهم، وإن منهج التّنمية والنّهوض ربما يكون واحداً، أو على الأقل متشابهاً بين أمّة و أمّة، وهذا وهم كبير.

لأن ظروف كل أمة تختلف عن ظروف غيرها، وميراثها الثقافي، ودورها الحضاري، وإمكاناتها المتوفّرة واحتياجاتها المتعدّرة، وأهدافها المقدّرة، وأساليبها المتغيّرة، وعاداتها وتقاليدها، ومنظومتها القيّمية، كل ذلك وغيره، ليس يتّفق ولا ينطبق ولا يقترب مما لدى الآخرين إلا فيما هو إنساني، أو على أفضل الفروض نظرياً، أما غيره فمختلف لا شبه فيه ولا صلة.

أن ذلك الوهم الكبير لا يقف عند حدود الظّن بوحدة المشكلة، وإنّما يتعدّاه إلى الوهم بوحدة الحل، وتكرار تجارب الغير وعقائد الآخرين، الأمر الذي يعبّر عن الإخفاق العميق في التّفاعل مع متطلّبات الوجود، واستحقاقات التّقدّم والتّطور، وهو أهم عائق يحول دون خروج المتخلّفين من مراحل تخلّفهم، ويمنعهم أن يجدوا

السّبيل الصّحيحة لمعالجة مشكلاتهم.

فأن تكون واعياً بذاتك الحضارية، ملمّاً باحتياجاتك الحقيقية، عارفاً بالأسئلة الّتي ينبغي أن تجيب عنها، قادراً على المساهمة فكريّاً وعمليّاً فيما تضيفه الإنسانيّة إلى إنجازاتها على هذا الصّعيد.

فأنت تضع قدمك على أول طريق المثاقفة مع الآخرين، فأنت لست الآخر ولن تكون هو، ولن يفيدك أن تفهمه هو فقط وتجهل نفسك، وأن تلقى ما بيدك طمعاً فيما لدى الآخر، فتجرد نفسك من السّلاح الّذي يسمح لك بالبقاء، ويُلقى بك إلى الهامش فتخرج عن دائرة الفعل وتخرج من التّاريخ، وتذهب إلى الفناء.

فأن تكون أنت على ما أنت عليه في الذاتيّة والهويّة، وأن تستخلص من ثقافتك وعقيدتك ومنظومتك القيّمة، مناهجك العقليّة وأطروحاتك الفكريّة، وأن تتمكن من وضع مشكلاتك الحياتيّة والعلميّة على شكل قضايا معرفيّة أولاً، ثم على شكل مناهج بحثيّة، وأن تستخلص منها السّياقات الفكريّة والنّظريّة الّتي تلائمها وتلائم ظروفك الحضاريّة والثّقافيّة، في هذه المرحلة يمكنك أن تستفيد من المثاقفة مع الآخر.

□ هل تعتبر أن مشروع النهضة العربية فشل منذ بدايته على يد رواد النهضة أنفسهم؟

■ لا، لا أعتبر أن مشروع النّهضة قد أخفق، ولكن أرى أنّه تعثّر في بعض مراحله لأسباب متعدّدة، منها ما هو ذاتي خاص بمشروع النّهضة من حيث هو مشروع ثقافي أو سياسي.

فقد يكون نشوء المشروع في أساسه تميز بالانشقاق إلى رؤيتين مختلفتين، الأولى كانت تعتقد بأنّ تقليد الغرب المتقدّم، والتّماهي مع انجازاته الفكريّة والسّياسيّة وغيرها سيؤدي الهدف المرجو من قبلنا، أمّا الأخرى فقد كانت تعتقد بأن التحدي الغربي المتمثّل في تفوّق الغرب واحتلاله لبلادنا هو سبب يدفعنا إلى إحياء ماضينا والتّمسّك به باعتبار ذلك وسيلتنا للمحافظة على هويتنا الحضاريّة وشخصيتنا المستقلّة عن الاستعمار الغربي.

وكلا النظرتين لم تكونا ناضجتين بما فيه الكفاية، وكانتا تحملان في ثناياهما العجز المعرفي والحضاري، وتشكّلان في ذاتيهما نوعاً من الهروب إما إلى الأمام أو إلى الخلف.

وصار هذا الانشطار والانقسام علامة دالّة على الفكر العربي والإسلامي لأكثر من قرنين، متجاهلاً في الأساس، أننا نحتاج في نفس الوقت أن نعرف أنفسنا ونقدّر ماضينا وحضارتنا، وأن نحيي تراثنا، في الوقت الذي نحتاج فيه إلى معرفة الآخرين ولو كانوا خصومنا، وأن نستفيد ما أمكننا مما لديهم بوعي كامل بخصوص مفارقتنا لهم، وأننا نختلف عنهم، ولن ننصهر فيهم، ولن نذوب.

على أن ذلك كله لا يكفي لنشوء النّهضة، لأن النّهضة لا تتحقّق ولا تنتهي بهذا وإنما تنطلق منه، تنطلق أولاً بالوعي الكامل بالحاجة إلى تجديد مناهج البحث، وإنتاج مناهج مستقلّة ليست منسوخة عن أخرى غيرها.

وأن نحسِن طرح الأسئلة الحقيقيّة في هذا المضمار، وأن ننجح في إنتاج الأجوبة الصّحيحة والدّقيقة عنها، وأن نحدّد الإطار الحضاري والإنساني، الاجتماعي والثّقافي الذي نتحرّك على أساسه، الأمر الّذي يفرض تحديد كيان الأمّة، وحشد قدراتها، وإنجاز مشروع دولتها على أرضها، لتبدأ النّهضة من هذه النّقطة تصاعديّاً حتى اكتمال بناء الحضارة، التي تقبل الاستمرار والبقاء لكونها مؤسّسة على حقائق اجتماعيّة وثقافيّة واقتصاديّة وسياسيّة مستقرّة، ولها محدّداتها وأطرها المتّفق عليها والمقبولة من خلال الموروث، ومن خلال المقبوس من العصر.

أعتقد بأن رواد النّهضة - أو من اعتبرناهم كذلك - لم يكونوا جميعاً ملمين بقواعد النّهوض أو قادرين على تصوّره في صورته الشّاملة.

نظر بعضهم إلى أقطارهم الصّغيرة، ونظر بعضهم إلى تجربته الخاصّة في علاقته بالمثير الغربي من خلال اتّصاله الخاص، بالطّريقة التي حدثت له ووفّرت له ذلك الاتّصال. ونظر بعضهم نظرة جزئيّة

تلخصت في اهتمامه بجانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية مثل: الديّن أو السّياسة.

لم يكن في أي مرحلة من تاريخنا الحديث مشروع متكامل للنّهضة، طُرح للتّداول في أي صورة أو جرى اقتراحه من خلال قادة الرأي والفكر أو السّياسة في بلادنا، إلا إذا اعتبرنا ما قدّمته الحركة القومية خلال أربعينيات وخمسينات القرن العشرين، وما قدّمته الحركة السّياسيّة الإسلاميّة خلال نفس الحقبة (أي منذ بداية القرن العشرين)، مشروعات نهضويّة بمنظور حضاري مجزوءٍ يركز على العنصر السياسي ويغفل بقية العناصر (دون تعمّد على ما أظن)، وإنّما كان هذا القصور والإغفال ناجماً عن التّأثر بسطوة اللحظة التّاريخّية التي تم فيها حضور الإحتلال الأجنبي الأوروبي، وغياب الخلافة العثمانيّة وتفكك المنظومة المؤسّسيّة الاجتماعية المحلّيّة بتفاصيلها المتعدّدة: عائليّة، وقبليّة، وعشائريّة، ودينيّة، وإداريّة وسياسيّة، في تلك الفترة، فكانت الرّغبة في بناء الكيان طاغية على غيرها من الرّغبات، وساد في ظل مقاومة الاستعمار ومجاهرته بالعداء، روح العودة إلى الجذور، الجذور الّتي بدأت تختفي تحت ركام الانكسارات والخسائر المتوالية.

لقد بذل الروّاد جهداً ثميناً، ولكن انقطاعاً غريباً حدث لمسارهم بعدهم، فلم يخلفهم عليه أجيال تحمل مشاعله إلى المستقبل، وإنما

جفّت تلك المنابع فجأة أو بالتّدريج – بحسب المناطق – وعمّ جو من الغموض والاختلاط الفكري الذي لم ينجلِ حتى الآن.

□ **كيف ننشئ المعادلة بين الأصالة والمعاصرة، أو بين التقليدية والحداثة؟**

■ لا يستطيع الإنسان الاجتماعي أن يقطع عن أصوله، وأن يقطع جذوره حتى لو أراد، كما لا يمكن – إذا أراد أن يحيا حياة جديرة به – أن يتجاهل متطلبات عصره، واستحقاقات وقته فعليه أن يتمسك بأصالته كما لو كانت هي كل شيء لديه، وعليه أن يمارس معاصرته كما لو كانت هي إرثه الوحيد.

وأعتقد أن افتراض تناقض بينهما هو افتعال نظري لا أكثر، إنني أرى النّاس تعيش حياتها بقناعاتها الّتي تراكمت لديها وتولدت عن موروثها الثّقافي، وتعيش بوسائل عصرها ومعلوماته وأدواته ومعارفه، و لا تجد في ذلك غرابة أو اضطراباً.

فمن الذي غرس في أذهان البعض أن الأصالة لا تحتمل المعاصرة، وأن المعاصرة لا تقبل الأصالة، وماهو غرضه من ذلك التوجيه غير البريء؟

لقد عاش الناس دهوراً وعصوراً وهم يرثون أفكارهم وأساليبهم وطرق حياتهم وعقائدهم، ويستبدلون بها غيرها من ذلك الذي يفيد

وينفع ويحسن الحياة والمعاش، ولم يجدوا في الحالين غضاضة، حتى جاء هؤلاء الناس الذين أعمتهم أغراضهم الاستعمارية، ليجرموا ثقافات الشعوب تجريماً مسبقاً ويعتبرونها عائقاً في طريق التّقدم، ويطالبون أهلها بالتخلص منها، وهم يقصدون أنها تعيقهم عن استمرار تضليلهم ونهبهم وإجرامهم، وتؤخر نشر أضاليلهم وأباطيلهم، وهم يقصدون في الواقع تجريد هذه الأمم والشّعوب من أسلحتها الحضارية والإنسانية والثّقافية، والنّفسية والتّربوية والدينيّة، ومن طرق معاشهم، ومن أساليب تسيير حياتهم، بحيث يقعون تحت هيمنة قوى الاستغلال و النّهب منزوعي السّلاح لا حول ولا قوّة لهم، جاهزين للاستسلام، خاضعين للبغاة والظالمين، قابلين بالمحتلين المعتدين لا ينبسون بكلمة، ولا يثيرون سؤالاً.

ومن أجل ألاّ يتكرر ذلك معنا مثلما حدث لغيرنا، فإننا يجب أن نحافظ على أصالتنا الحضارية والثّقافية بكل مكوناتها، وأن نسعى لاكتساب المعاصرة في العلم والعمل، والفنون والتّقنيات، حتى لا نترك شيئا منها، نغفل عنه فيفوتنا منه خير كثير.

ولا نضع في ذهن أحد منا بأن الأصالة هي التّقليد، أو أنّ المعاصرة، هي الحداثة، فإن ذلك تشويه لمعناهما معاً، فإن من الأصالة ماهو من الحداثة وليس من التّقليد، وإن من المعاصرة ما هو من الأصالة وليس من الحداثة، وربما كانت الأصالة معاصرة أكثر ممّا

اعتبره بعضهم كذلك، وهو في حقيقته تقاليد أمم أخرى، يراد لنا أنْ نراه كما لو كان لا شيء غيره.

□ المثقفون العرب أطياف متعدّدة لا سبيل إلى حصر تنويعاتها، ما هو أفق توحيد مواقفهم المتّصلة بالقضايا العامة وبهموم الأمة العربية؟

■ المثقّف فرد من المجتمع، ولكل فرد تجربته الخاصّة، وقد بنى انطلاقاً من تلك التجربة موقفاً خاصاً به في النّظر إلى القضايا العامّة، ومشكلات الأمّة الحالية المختلفة، ورغم هذه الخصوصيّة لكل فرد على حدة، فإن في الانتماء إلى الجماعة العربيّة وثقافتها وهويتها الحضارية يوجد فهم متقارب، ورؤية متشابهة، تشكل قاسماً مشتركاً، يشمل أغلب أفراد المجتمع بما فيهم المثقّفين، مما يوفر وحدة فكريّة وموقفيّة يجسدها أفراد المجتمع، يعرفون بها، ويتمايزون عن غيرهم من خلالها.

فالعرب تستطيع أن تفرّقهم عن الإنجليز أو الفرنسيين، ليس في شكل أجسادهم وألوانهم فقط وإنما من خلال مظاهرهم ومواقفهم ولغاتهم، بسبب اختلاف منظوماتهم القيّمة والأخلاقيّة والعقيديّة، والّتي تتضح من خلال اتخاذهم انحيازات مختلفة حيال ما يجري في الحياة وبين النّاس من أحداث،فالثّابت اجتماعياً أن أفراد أي مجتمع متحدون في مواقفهم - غالباً وعادة - انطلاقاً من وحدتهم الثّقافية

والحضارية.

غير أنّهم يختلفون من حيث وعيهم بالقضايا العامّة، واهتمامهم بهموم أمّتهم العربية، فمنهم من يعي ذلك، ويهتم له، ومنهم من لا يعيه، ولا يهتم به.

ولم تعد الثّقافة اليوم محتفظة بتعريفاتها التّقليدية خاصة بعد أن صار التّعليم، والإعلام، والمعرفة بشكل عام، أكثر انتشاراً وأوسع مداراً.

وتساهلنا في تعريف المثقف، بحيث أصبح كل من هبّ ودبّ مثقفاً، حتى أولئك الذين لا يحسنون نطق اللّغة، ولا يستطيعون كتابة جملة صحيحة، حتى أولئك الّذين لا يرون لأنفسهم رسالة سوى أن يحصلوا الفوائد الشّخصية والأرباح المادية، وكان أجدر بنا أن نسميهم المرتزقة بدل أن نصفهم بالمثقّفين.

□ أعرف أنك تكتب الشعر، وقصائدك متفرّقة هنا وهناك، بل إنك في إحدى المرات كتبت قصيدة في شكل مقال، أي أنه ذو تفعيلة متصلة من البداية إلى النهاية، لكنك في مقابل هذه الممارسة المتحرّرة من القيود تصرّ على عدم الاعتراف بشعرية قصيدة النثر؟

■ أحيانا أجد الرّغبة في نفسي لكتابة ما أريد كتابته وفق موسيقى معينة، بترنيمة موزونة، وأحياناً مقفاة، أو مسجوعة، حدث ذلك

مراراً وتكراراً، لكن الشّعر شيء آخر.

لقد أبدعت العروبة قاموسها الجمالي، ووجدانها الذّوقي، وموقفها المعياري، الّذي تقيس إليه الأشياء فتراها على ما هي عليه جميلة وحسنة، وفائقة الحسن والجمال، عبر آلاف السنين، ليس في يوم واحد، ولا فى قرن، بل عبر آلاف السنين، حتى جاءت مرحلة الانحطاط هذه وأنتجت كل شيء منحط، في السّياسة والاقتصاد والفكر، بل حتى في الحرب والأخلاق، فكانت الثّقافة عموماً، والأدب من ضمنها تعبيراً عن هذه المرحلة، وليس بدعاً من الأمر.

فحينما زهدنا في كل شئ يخصنا واعتبرناه متخلفاً، وسعينا إلى استعارة ما لدى الآخر، من لباس، وأصباغ وأدوات ولغة، ومعايير ومقاييس، رأينا الجميل قبيحاً والقبيح جميلاً، ألم تر أنّنا نترجم أشعار بعض الأجانب وكأنها كلمات متقاطعة وألغاز، ويحتفي بها بعضهم كأنها الفتح المبين دون أن يفهموا منها حرفاً، ثم يحاولون النّسج على منوال تلك التّرجمات وتقليدها كما تفعل الببغاء، ويسمّون صنعتهم هذه شعراً، وتمتلئ الصحافة بذلك القيء الكريه الذي يعبر عن انحطاطنا أكثر مما يعبر عن أي شيء آخر.

يجب الإيمان بحق المثقّف في التّعبير عن نفسه، وإعطائه الحقّ في التّعبير بحسب قدرته. فله الحق في اختيار الأسلوب الأدبي والبياني والفنّي، للتّعبير عن فهمه للأمور ولتقديم ما لديه إلى النّاس، لكن

ليس له الحقّ في أن يسمى ما يصنع، وإنما تسميه الثّقافة العامّة للأمّة، ويُحكم عليه بمعاييرها الجمالية والأخلاقية والحضارية.

فالأمة لن تهدر قيمها الجمالية، ولن تتخلي عنها، وقد سخرت عبقريتها آلاف السّنين في خلق تلك المعايير، والمقاييس والقواعد والنّظم، ليأتي من يستلف مثل هذه الأشياء من جيرانه، ويحاول فرضها على الأمة، ويطلب منها إسقاط ذوقها ومعاييرها وذاكرتها، وثقافتها وحضارتها، لحساب الآخرين وما أنجزوه.

العرب لديهم أدب اسمه الشعر، وأدب آخر اسمه النثر، بينهما علاقة، لكنهما لا يختلطان إلى الحد الذي يحلّ أحدهما محل الآخر، هكذا دون احترام! فالرجل والمرأة يكونان العائلة، وهما أشبه ببعضهما من النّثر بالشّعر ولكنّنا لا نخطئ في معرفة أيّ منهما، رغم اتّصالهما واختلاطهما وعيشهما المشترك. تخيل بأنّك تصف المرأة بأنها رجل، أو تصف رجلاً بأنه إمرأة؛ أليس هذا عبث وسوء نظر، وربما جهل بالذي تراه.

لماذا؟ لأنك محكوم فى هذه الأحوال بالقواعد الفكرية والمعايير النّظرية والجماليّة والأخلاقية، أنت محكوم بالمنظومة الثقافية كلها، وخاضع لقيم الثقافة و الحضارة لهذه الأمة، ولا يجوز لك أن تتجاهلها،. لأنها عندئذ تتجاهلك، وتسقطك من حسابها.

فالعرب لن يبقوا إلى الأبد متخلفين، وتابعين، وسينهضون،

وسيلقون بهذه النّفايات عرض الطريق، ولن يقبلوها، وستصبح عندئذ محل تندّر وسخرية، كما نسخر من قرآن مسيلمة الكذّاب ومن كتابات العصر المملوكي المتأخر، الّذي نظن بأنّه مازال مستمرّاً (أقصد عصر المماليك الخصيان)!.

□ أدونيس مثلا كتب قصائد وطنية وقومية، وله قصائد ثورية هامة مثل قصيدة «قبر من أجل نيويورك» بالرغم من ذلك يوصف أيضا بأنه شاعر هدّام. أصدقاؤه يعتبرونها صفة إيجابية تنويرية، وأعداؤه يعتبرونها صفة سلبية تماما. ألا نطلب من الشاعر أن يكون أكثر ممّا يجب عندما نجعله إشكاليا على هذا النحو؟

■ الثقافة مثل كل أعمال الإنسان غائية، وهي بالتّالي أخلاقيّة، وهذا الهدف الأخلاقي للثّقافة هو الّذي يجعلها جديّة، ويربطها بحياة الإنسان ويربط حياة الإنسان إيجاباً وسلباً بها،

فليس هناك ثقافة من أجل الثّقافة، ولا ثقافة تسمح بسحقّ الإنسان وشيّه على السفافيد لتزدهر هي على حسابه، والشّعر باعتباره فناً، وثقافة، وإبداعاً إنسانياً لا يخرج عن هذا الإطار، وأيّ شاعر عربي، لا يضع في أهدافه حماية العروبة وترسيخها، والدّفاع عنها وعن وطنها ومصالحها، وتحقيق وحدتها والدّفاع عن عقيدتها الّتي بها تحمى خصوصيتها وذاتيتها، ليس هداماً فقط، وإنّما هو غير شاعر بشيء، ﴿لا يَقُومُ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسّ﴾.

وبعض هؤلاء الذين يهاجمون ثقافة الأمّة، تحت ذريعة الرّغبة في التّغيير، أو ذريعة عدم الرّضا عن الحاضر المريض، العليل، العاجز، لا يجب أن يكون البديل الذي يقدمونه هو أن تتخلى الأمّة عن حقيقتها الوجودية، ويذهبون إلى التشكيك بها؛ ولا أن تستبدل الأمّة ذائقتها الجماليّة، أو القيم والمُثل العليا الّتي آمنت بها وعاشت لأجلها طوال تاريخها، قيماً أخرى دخيلة يراد لها أن تغرس في قلب هذه الأمّة وعقلها.

إن ذلك نوع من الوأد، وشكل من الاغْتيال، وهو كيفما نظرت إليه، لا يقل عن الجريمة في صورتها البشعة، والإشكال في هذا الإطار هو أخلاقي، وثقافي، يتعلق بالغائية، أي بالغاية من عمل الإنسان. والشّاعر إنسان، والشّعر من عمله، فإذا لبسَ أحدهم أخلاق الغابة المتوحّشة (صار ذئباً) ونزع عنه قناع المدنية المهذب، فكيف يطلب ألاّ يطرده أهل القرية خارج أسوارها؟!

□ **من موريتانيا إلى العراق تحوّل الوطن العربي إلى رقعة شطرنج، وقد يتحوّل بعد ذلك إلى ساحة للعب «الدومينو» العشوائي. ماهي في عقيدتك ممكنات النهضة العربية؟ هل ثمة أفق للعرب يَحُولُون فيه دون انقراضهم كأمة؟**

■ العرب هم أقدم أمّة على الأرض، وهم أوّل أمّة كاتبة وحاسبة في تاريخ البشرية، والعرب هم الّذين خلقوا العالم،

وأوجدوا المدنية والحضارة، وهم أكثر من تعرض للتّحديات، وجابه المخاطر وواجه العدوان، وتجارب الأمّة العربية في هذا المجال لا حدود لها، كم من عدوان جاء طاغياً باغياً، وتلاشى واختفى ﴿كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾، وكم من عدو جاء قوياً مغروراً بقوته العسكرية، يحقق انتصاراته المؤقتة الرّخيصة ثم لا تجد له من بعد ذلك ذكراً.

العرب كانوا هنا قبل أي أحد آخر، ويبقون أخيراً بعد أي أحد آخر، يرثون الأرض وما عليها بوعد الله الصّادق الّذي لا يخلف وعده، نحمل رسالته ونقيم ناموسه في كونه وعلى ملكوته، على المحجة البيضاء، فلا تتخطفنا السّبل التائهة فتفرق بنا عن سبيله، قال لنا في محكم تنزيله، بصادق قوله جلّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وتؤمنون بالله﴾.

فما تراه الآن يا عزيزي من شنقيط إلى بغداد، ليس سوى حالة مؤقّتة قصيرة الأجل، هذا مظهر من مظاهر الاحتلال القائم في هذا الأوان، يعبّر عن حال العجز الرّاهن وحال الانكسار والتّبعية والتّخلف.

اللوم يقع علينا نحن العرب، الملام هو قوى هذه الأمّة وفعالياتها الفكرية والثّقافية والعسكرية وغيرها، الملام هو شباب العروبة النّاهض، هو المسؤول عن استمرار الحال على ما هي عليه.

وحتّى إذا قيل: استمرار الحال من المحال؛ فإن الحال لا يزول إلا

بعمل مقصود، فالله يقول، وهُو أصْدق القائلين ﴿إنّ اللهَ لا يغيّرُ ما بقومٍ حتّى يُغيّروا ما بأنفسِهِم﴾.

فالعرب الأمّة العظيمة، ليست من المرشّحين للانقراض، سينقرض هؤلاء الّذين يمضغون مثل هذه الترهات ويحاولون تسويقها، أو تسويغها للنّاس، العرب في حال هزيمة، وتحت احتلال أجنبي هذه حقيقة ليست محل جدال، العرب لم ينجزوا استقلالهم القومي، ولم يقيموا كيانهم الشّرعي على وطنهم، هذا صحيح، والعرب لم يضعوا خطة ولا برامج عمل معلنة للخروج من الاحتلال، وللتّوحيد وضمان المستقبل، هذا صحيح أيضاً.

لكن هذا العجز وهذا الضّعف، وهذا الاحتلال الأجنبي لن يقضي على العروبة ولن يدمّرها، هو يشْحذ همتها، هو يحْشد قواها وطاقاتها، وستنهض.

ليس هذا من أثر العاطفة، ولا أقول ما قلت انطلاقاً من مشاعر الانتماء العربي المجرد عن العلم، فأنا عربي، مسلم، هل يدرك أحد معنى هذا؟

ليس في الكون طاقة أكبر ولا أقوى ولا أشد أثراً من هذا، العروبة والإسلام.

ألا ترى قوى الشّر كلها تتكاثف وتتحالف وتتحاشد للقضاء على العروبة والإسلام ثم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً ؟!

وبعد هذا كله، فإن أي أمّة من أمم الأرض، إذا عرفت وضعها، وحدّدت مبتغاها، وخططت مسارها، وحشدت قدراتها، فإنها تصل إلى أهدافها، حتى الأفراد إذا توفر لهم هذا المنهج أمكنهم النّجاح وحالفهم التّوفيق.

فالعرب الآن يعرفون أوضاعهم على حقيقتها لا يتوهمون غيرها، ويعرفون أهدافهم، وأهداف نضالهم وكفاحهم القومي، ويملكون من الطّاقات الشّابة والعاملة والمثقفة والثّورية ما يكفي لتحديد المسار ووضع الخطط اللازمة، وتقديم التضحيات الضرورية، ولهم من الإمكانات الماديّة والخزائن المعرفيّة، والطاقات الروحيّة، والثّروات الهائلة، ما يمكن استعماله لذلك، ليجعل العرب من جديد على الطريق الصّحيح لنهضتهم.

فالمستقبل العربي رغم ظلام الحاضر وظلمه، سيكون مشرقاً، ولا أقول بلا عمل ولا تضحيات، ولكنها شرط لقيام النّهضة، وتحرير الأمّة أرضاً وإنساناً.

وأول الطريق يبدأ بالثّقافة الثّورية النقدية، وبتوعية الجماهير الشعبيّة بحقوقها، وبأهداف نضالها، وتعريفها بخصومها وبأعدائها التّاريخيين، وتعليمها، وإيقاظها، وتنبيهها إلى المخاطر المحدقة بها، وبمستقبل أجيالها، وبالمظالم التي تقع عليها.

فالنّهضة يمكن أن تحدث عن طريق التعليم والثّقافة والتّحول

التّدريجي، أو بالثّورة على أوضاع الظّلم والفساد السائدة الآن، ولا يمكن الاختيار مبدئياً ومسبقاً بين الطريقين، فالظروف والأوضاع والإمكانات هي الّتي ترجح الأسلوب المناسب للتّغيير.

وعوداً على بدء، أوافق على أن الأوضاع الرّاهنة هي أوضاع تخلف وتراجع وانكسار وانهيار، لكن تغيير هذه الأوْضاع حتمي، إمّا أن يسعى الساسة وحكومات الفقر والجهل والعسف والجور القائمة إلى تغييرها إلى ما هو أفضل وأكثر ملاءمة للتّقدم والحرّية، والعدالة، وتحقيق الوحدة العربية، أو أن يأتي الطّوفان ﴿وَسَيَعْلَمُ الّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقلبُون﴾.

□ حوارك المتّصل مع المنظمات والأحزاب والتيارات وحتى الأفراد - كما أراه - هو بؤرة استقطاب لهذه الأصوات العربية، هل تفكّر في دعوة هذه الأصوات إلى نوع من «البروتوكول» أو العقد القومي؟

■ منذ عشرين سنة تقريباً كانت لي مشاركة في أوّل إجتماع لملتقى الحوار العربي الثّوري الدّيمقراطي، وكان الملتقى يجمع اتجاهات فكرية وسياسيّة متعددة يساراً ويميناً، من الّذين في السّلطة، والّذين ليسوا فيها، معارضين وغير معارضين.

وقد عبّرت عن وجهة نظري في ذلك الوقت فيما يخصّ الحال الّتي عليها الوطن العربي، والشّعب العربي، وعرضتُ وآخرين من

زملائي برنامج عمل للملتقى احتوى وجهة النّظر تلك، ثم شاركت في نشاطات أخرى وخضت تجارب مشابهة من خلال المؤتمر القومي أو من خلال المؤتمر القومي الإسلامي، ورغم الحصيلة الضئيلة لكل تلك التّجارب، والّتي تدلل على عدم جدية العمل السّياسي العربي الرّسمي وغير الرّسمي، فإن مواصلة الدّرب والحرص على الاستمرار في المطالبة بحقوق الأمّة، والمحافظة على أهداف نضالها في الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية، والتّقدم، هو ضروري لتحقيق حياة حرة وكريمة لأفراد هذه الأمّة.

ولن يتسرب اليأس والقنوط، ولا التفريط، إلى نفوس المناضلين الثّوريين، الّذين يمتلكون الوعي الحقيقي بالحاجة الملحة لإقامة الكيان القومي الشّرعي للأمّة على أرضها.

ولن نمل من تكرار مطالبنا المشروعة بحق أمتنا في الوجود على حساب كيانات الفقر والتّبعيّة الّتي أقامها الاستعمار وقسم بها كيان أمّتنا الموحد، ولنا ثقة تامة في مستقبل أمتنا، بأنها ستنهض ذات يوم، وسيتحقق ما نحلم به الآن.

□ **أين تتنزّل مقولتكم: أنا ثوري؟ وما مفهوم الثوري اليوم؟**

■ حيث يقول العربي أنّه ثوري، يحسم موقفه مع الواقع الراهن، ويختار نوع المستقبل الّذي يأمل بإيجاده، فالثّوري هو الإنسان الذي ينحاز إلى الجماهير الشّعبية، وينتمي إلى أحلامها في الحرية والعدالة

والتّقدم.

فالثّائر هو الّذي درس الواقع دراسة عميقة، واستوعب متطلبات المستقبل وشروط النّهوض، واختار أن يحاول تغيير الواقع من أجل متطلبات المستقبل وشروط النّهوض.

وفي ظل الأوضاع الراهنة، والشّروط المجحفة والمذلة الّتي يخضع لها الوطن العربي، والأمّة العربية، تختمر الثّورة في أعماق الأمّة، ويمتلىء بها الأفق وستفرضها الشّروط الموضوعيّة.

فلم يخلق حتى الآن بشر يقبلون بعيش المذلة والهوان برضا نفس وطيب خاطر، ولم يوجد الظّلم والقهر والعدوان والاحتلال، إلاّ كانت المقاومة والثورة، هي الهواء والماء والغذاء لأولئك الذين نسميهم ملح الأرض، وإكسير الحياة فيها.

الثائر هو الّذي يملك الوعي المعرفي بالواقع، وبالأفق الذي يليه، وبالآفاق الّتي ستأتي من بعد ذلك، وهو الّذي يؤمن بدوره في قيادة الجماهير وتقدم زحوفها وصفوفها في معركتها التّاريخية مع أعدائها وخصومها التّاريخيين، وهو الّذي يختار أنْ يقدم التّضحية الّلازمة التي تجعل منه «حسيناً» آخر في كل يوم تتبعه النّاس على طريق الشّهادة حتّى تصل أهدافها.



□ **قلتم إن مقدمة ابن خلدون الحل، أو فيها الحل لمشكلاتنا لكن لم يُنتبه إليها، أين يتجلى ذلك؟**

■ كان ذلك أواخر القرن الرّابع عشر، حين حاول مثقف وعالم هو محمد بن خلدون الحضرمي، أن يقدم طوق النّجاة لأمة كانت تغرق أمام عينيه، في الأندلس وفي المغرب وفي مصر، لكن الأوضاع الثّقافيّة والسياسيّة واهتمامات النّاس في تلك المرحلة لم تسعف الغارقين، بحيث يلتقطون ذلك الطّوْف، ويتجنّبون الغرق، وغرقوا.

لقد فسر ابن خلدون الحضارة، وكيف تبدأ، ومتى تنتهي، والدّول كيف تظهر، وتقوى، ثم تضعف تذوي و تضمحل، وفسر المجتمعات، كيف تنهض، وتتماسك وتقوى، وكيف تنحل، وتضعف

ثم تندثر.

ولقد كان في ذلك التفسير والتّحليل، كثير من الحلول والخير الكثير، والإجابات عن أسئلة تلك المرحلة المثيرة من تاريخ الأمة، ولكن أحداً لم يكن مؤهلاً في ذلك الوقت على صعد الثّقافة والوعي، ولا على صعد السّياسة وأدوات الحكم، ليستوعب ما قال ابن خلدون من معارف وعلوم، فمرت المقدّمة عليهم مرور الكرام الذين لا يجدون من يحسن استقبالهم، ولا من يهتم لشأنهم، ولا من يسألهم عمّا في جعبتهم من بضاعة مزجاة.

وهكذا فأنت ترى أنّه تمر مراحل على الأمم يكون انقاذها صعباً، أو مستحيلاً في بعض الأحيان، لأن الإنقاذ رهين بعدد من العوامل لابد أن توجد معاً، فالعلم لابد أن يكون مقروناً بالعمل.

فإذا توفر عنصر العلم، وانفصل عنه عنصر العمل، فلا تتحقق النّتيجة المطلوبة، وقد يحضر في بعض الأحيان من يستعد للعمل، ولكنه يفتقد العلم الصّحيح والمعرفة الحقيقية، ويفتقد الوعي الحقيقي، فلا يحصل المطلوب ولا يتحقق الهدف، فصار معروفاً الآن بعد تجارب التّاريخ الطويلة أنّه من الضّرورة المزاوجة والممازجة بين العلم بالشّيء والعمل به،

وأستطيع أن أعطي مثلاً من الحاضر على هذا الأمر، فأنت ترى هذا الحديث الوفير الغزير عن الديمقراطية في وطننا، وما هي

الدّيمقراطية غير أن يحكم الشّعب نفسه بنفسه دون وسيط ولا وصي عليه، وتجد الجانب المعرفي لذلك قد وفرته النّظرية الجماهيرية في الكتاب الأخضر للمفكّر **معمر القذافي**.. كم من المثقفين العرب قرأ هذا الكتاب؟ وكم من المطالبين بالحريّة والدّيمقراطية اطّلع عليه أو استوعب أطروحته العلميّة والعمليّة؟ إنه يكاد يكون مقدّمة ابن خلدون جديدة - وكأن معاصرينا من العرب هم أهل أندلس ومغرب ذلك الزّمان.

□ **هل يمكن للسياسي أن يتخلّى عن المثقف، وفي أي ظرف يحدث ذلك؟**

■ المثقّف سياسي دائماً، والسّياسي مثقّف أحياناً..

في الوضع المثالي لا يجب فصل الثّقافة عن السّياسة، وفي ظل أوضاع التّردي تصبح السّياسة نوعاً من التّجارة أو المقامرة، لها ثقافتها الخاصّة، الّتي تبتعد عن القيم والمثاليات ومبادئ المدنيات المعروفة.

في الوقت الحاضر فإن غالب أهل السّياسة بعيدين عن الإهتمام بالثّقافة ومحرومين من الإلمام بروحها، وأحياناً لا يتنسّم بعضهم حتى ريحها.

إن الثّقافة عبء ثقيل على السّياسي فهي تلزمه بالثّبات على

مبدأ، فتحرمه من المناورة، وتفوّت عليه بعض المنافع الّتي يراها لازمة له.

والثّقافة قيد على السّياسي فهي تحدّد المعايير والمقاييس والضّوابط للسّلوك والقرار، والموقف، وتحد من حرّية التّصرّف، والقدرة على سلوك الطّرق السّهلة،

والثّقافة ضمير يقظ و«نفْس لوّامَة» تنغص حياة صاحبها، ولا تسمح له بتنويم وعيه، وتخدير حواسه، وتمرير ما ترغب السّياسة بتمريره،

ولهذا كله، وربّما لغيره أيضاً، تسعى السّياسة إلى اختلاق ثقافتها، الّتي تساير ثقافة الأمّة في شكلها، وتناقضها في مضمونها، فحين تطالب ثقافة الأمّة بالحرّية، تطالب ثقافة السّياسة بالقمع، وحين تطالب ثقافة الأمّة بالاستقلال، تطالب ثقافة السّياسة بالتّبعيّة والتّطبيع مع العدو، ومع التّخلف، ومع المرض والجهل والفقر.

في مراحل الانحطاط الحضاري ينشأ انحطاط ثقافي، وتصبح الثّقافة بلا قيم، وبلا مثاليات، وبلا مبادئ، ولا ينتج عنها عمل، وإنّما ينتج عنها الفساد.

ثم ينتج الفساد ثقافته، وهكذا فإن الانحطاط والفساد، يضخان ثقافتهما الّتي تنتج مزيداً من الانحطاط ومزيداً من الفساد، وتستمر الدّوامة.

قد ينظر لثّقافة الأمّة في مراحل الانحطاط، نظر السّخريّة، والاستهجان، وتكون مثار رفض كامل من قبل منظومة الفساد، ذلك أن الثّقافة غير مفيدة ولا مربحة في تلك الأوضاع بل تشكّل عائقاً، ومانعاً، وربّما تحريضاً على قوى الانحطاط والفساد الّتي تمثلها المؤسّسة الرّسمية والحكوميّة، في الوقت الّذي يمثّل فيه النّاس العاديون في المجتمع ثقافة الأمّة، ويجسّدون توجهاتها والحيازاتها، ومواقفها الأساسيّة.

في هذه الحالة فإن السّياسي لا يشعر بحاجته إلى المثقّف وسيشعر المثقف بعدائه تجاه السّياسي، ويتخلّى كلاهما عن الآخر مختاراً.

□ بعد أن سقطت كل الأقنعة، لماذا تظل الحرية اللغة الوحيدة الممنوعة في عالمنا العربي؟

■ لأن الكيان الّذي يستطيع أن يحمل عبء الحريّة لم يُسمح له بالقيام، وهذه الكيانات الّتي تسمّيها «العالم العربي»، ليست سوى فسيفساء القمع والاستلاب، مدهوناً بالزّيف والتّبعيّة للأجنبي، على أساس من الإغتصاب وعدم الشّرعيّة، فمن أين تأتي بالحريّة، وهي تشعر بالخوف من كل مواطن، بل ومن كل كلمة، بل ومن كل نسمة هواء، هذه الإقطاعات العائليّة الّتي تسمّى فيها الدّول على اسم عائلة الحاكم، أو اسم جدّه، وتحكمها عصابات التّهريب والعمولات، وأقارب الحكّام وأصهارهم، وشركاؤهم، ويُعتقل فيها

الشّعب ويُغيب وعياً وحضوراً، ويسفه عقلاً وشعوراً ويهان ذلاً، ويطحن تحت ثقل القهر والفاقة.

كيف يمكن التّفكير في الحريّة، وكيف يمكن تحقيقها في ظل أوضاع مثل هذه.

الحريّة يا أخي ليست حريّة الفرد الواحد مجرّدة، أي أن يفعل ما يريد دون عائق، أو مانع أو خوف، فحسب. الحرّية الحقيقيّة هي حريّة الأمّة في تحقيق أهدافها في وطنها، هي قدرة الأمّة على العيش الحر الكريم، هي الاستقلال عن الأجنبي، هي القدرة على مواجهة العدو بكفاءة وبحشد الطّاقات والإمكانات.

هي الأفق المفتوح على النّور، وعلى المستقبل المشّرق، هي بناء التّقدم، وتحقيق العدالة الاجتماعية، الأمر الّذي لا يمكن تحقيقه إلاّ من خلال توحيد الأمّة وبناء مؤسّساتها القوميّة، هذا هو الطّريق الوحيد نحو الحريّة، وبدونه لن تكون أبداً.. أبداً.

فهذه الأوضاع هي أساساً ضد الحرّية، صنعت خصّيصاً ضد الحرّية، هي تقتل الحرّية. إذا جاءت الحرّية هي تموت.

الحريّة ثقة، وقوّة، واستقلال، وأمل بالمستقبل وبالحياة، فأين تجد هذا، في ظل هذه الأوضاع؟!

الحريّة استقرار، ومؤسّسات فاعلة، ومجتمعات مليئة بالثّقافة،

وضاجّة بالعمل، فهل ترى ذلك عند أهلك العرب؟ أم عند إخوتك المسلمين؟

هذه الأوضاع تبدو انتقاليّة، وليست دائمة، وتبدو استثنائيّة لها ظروفها وشروطها، وينظر إليها النّاس بعدم ثقة، وبعدم ارتياح، وينتظرون تغيرها باستمرار، وكلّما تغيّرت توقّعوا أن يأتي التّغيير الجديد سريعاً، ولهم الحقّ في ذلك فهي ليست مستقرّة وليست نهائيّة لأنّها ليست طبيعيّة.

ليس هذا هو الكيان الّذي يعبّر عن الأمّة، ليس هذا هو المجتمع الّذي تسعى إلى بنائه، ليست هذه هي المؤسّسات الّتي نثق بها أو نرتاح إليها، كلنا هنا فيما تسمّيه «العالم العربي»، ننتظر الّذي لم يأت بعد !.

□ **هل يمكن للثقافة أن تتحول إلى مرادف للدفاع عن الحياة؟**

■ هي هكذا فعلاً، فالحياة بلا ثقافة هي حياة بلا مبدأ، وبلا هدف، وبلا قيم، وبلا مثل عليا، وبلا معايير، وبلا أسس، وبلا إنسان، هي إذن حياة سائمة أو حياة دوديّة، أو حياة حيوانيّة.

الثّقافة هي تعريف هذه الأسس القيّمية ومحاولة إعادة إنتاجها وتطويرها على الدّوام، من قبل إنسان واعٍ بها يريد التّقدّم لنفسه ولجماعته وللمحيط من حوله، هي العتاد والوقود الّذي يوجد الحياة والحركة والحرارة والدّفء في جسد الوجود.

الثّقافة هي المعارف والخبرات والأساليب والمفاهيم، الّتي بدونها لا يمكن العيش ضمن إطار العالم الإنساني، هي الّتي تحتوي العقل والفكر والرّوح، والوجدان.

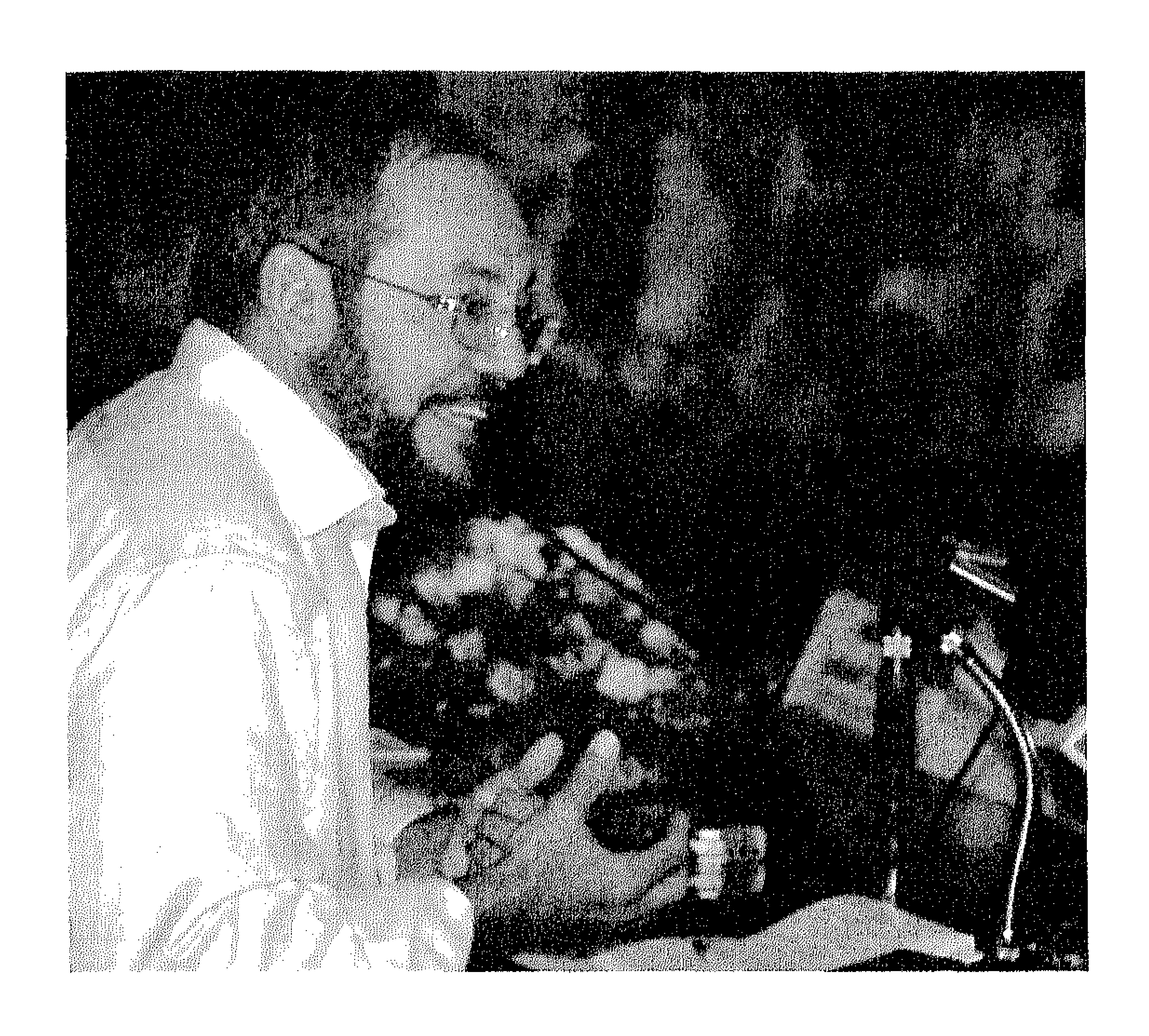
الثّقافة هي العلم في صورته الإنسانيّة، وهي الفنون في صورتها الاجتماعية، وهي الحياة في صورتها العمليّة المعيشة، وهي الأفكار في صورة علاقات وقواعد، ونظم.

هي عبقريّة الإنسان وخياله، وإبداعه وتفاعله مع الحياة والإمكانات والقدرات.

إذن فإن الثّقافة ببساطة شديدة هي الوجود ودفاع الأمّة عن ثقافتها هو دفاع مباشر عن وجودها ذاته، وإن المساس بثقافة الأمّة، هو مساس بجوهر الحياة والوجود، هو مساس بالكرامة والحرّية، هو مساس بكل مقدّس وثمين، لا يقبل التّنازل عنه ولا العيش بدونه.

□ **هل تعتقد أن جيلكم اكتوى بنار الشعارات والهتافات، وتآلف مع الخيبات والبطولات الوهمية، في حين أن الجيل الجديد ليس له ما يخسر على الأقل حتى الآن؟**

■ جيلنا هو جيل المبادئ والقيم والمثل العليا والكفاح المشرف للأمّة، والتّضحيات غير المحدودة من أجل وجودها - وحرّيتها وكرامتها.. وشرفها.



جيلنا هو الجيل المثقّف الواعي، جيل قضايا الأمّة الكبرى، حمل همومها، واستوعب ثقافتها، وتجاوب مع آمالها وطموحها ومطالبها، وضحّى من أجلها بمحبّة وبطيب خاطر.

جيلنا هو الجيل الّذي وعى وعياً حقيقياً، وحدّد مسارات كفاح هذه الأمّة الّتي سيستمر أثرها قروناً، ولن تتوقف حتى تصل إلى هدفها.

جيلنا هو الموجة التّاريخيّة الّتي أخرجت الأمّة من غياهب ذلّها، وسباتها، وخضوعها إلى أفق رحب من التّمردات والثّورات

والانتفاضات، واليقظة، والمعرفة، فنحن الّذين ورثنا روح الثّورة والمقاومة، وحملناها مشاعل على الطّريق، فقاومنا وصدقنا الله ما وعدناه، وبذلنا من أرواحنا ومن دمائنا ومن أعمارنا ، ما يكون بعون الله أساس نهوض هذه الأمّة.

جيلنا هو الّذي أوقف العالم كله على رجل واحدة، مرتعداً مرعوباً من مقاومة العرب، ومن قدرتهم على مواجهة الخصوم، حتّى قالوا بأن للعرب جينات خاصّة لا تُهزم ولا تُرعب من الموت، وكأنّهم لا يعرفون معنى الموت.

جيلنا هو الّذي نقل الثّقافة الثّوريّة، وثقافة التّحرير والاستقلال، والوحدة، إلى أجيال ستقتفى خطاه إلى تحقيق الهدف القومي التّاريخي.

وجيلنا هو الّذي ملأ سجون العدو، وسجون حكومات الوكلاء، وشحن الجسد العربي بالتّمرد والحياة، دماً، ورصاصاً، وشعراً ونثراً، وأدباً وعلماً، وسياسة.

جيلنا هو الّذي ملأ العالم أملاً في تحقيق أهداف الشّعوب، وأعطى الإنسانيّة فسحة من الشّعور بالتّخلص من الظّلم عن طريق الثّورة، وقد خسرنا كثيراً، وربحنا بعض الرّبح، لكنّنا نعتقد أنّ المعركة مستمرّة، ولا نعتقد بأن الأجيال القادمة ستخون، أو أنّها ستخذل نضال أمّتها، وتقبل بتقسيمها أو باحتلالها، أو بإقامة كيانات

العائلات الإقطاعيّة، فالثّقافة الّتي غرسناها وحميناها بدمائنا لن تموت، وأمّتنا تعيش على نسغ عروقنا وعلى حبات عرقنا، ونحن لم نصبح من الماضي وأمّتنا ليست من الماضي.

لنا الآن بعض الحاضر، لكنّنا نعتقد بأنّنا نمتلك المستقبل كله.

□ **هل أنت متفائل بمستقبل هذا الجيل، وهل تراهن عليه؟**

■ أراهن على الأمّة العربيّة، ولي ثقة غير محدودة بقدرتها على الحياة، وعلى مجابهة الصّعاب وعلى تحدّى الظّروف وعلى هزيمة الأعداء.

وهذا الجيل من العرب إذا استوعب ثقافة أمّته، وتمسّك بعقيدتها، وأخلص لمبادئها وأهدافها فإنّه سيحقّق الكثير، لقد تمكّنت أمّتنا من إدارة صراعها مع أعدائها آلاف السّنين، وخلال ألف سنة مضت كانت ضعيفة كسيرة الجناح مقسّمة الوطن، مشرذمة الإرادة.

سلب العدو كل ما لديها من عناصر القوّة، وألبسها مسوح الهزيمة قروناً متوالية، ومنعها حتّى من استعمال لغتها في التّعليم والتّخاطب، ومنعها من إنشاء مرافق التّعليم ومرافق الحياة، وحرمها من اكتساب المعارف الضّروريّة لبناء الحياة العصريّة في الزّراعة والصّناعة والبحث العلمي، وحتى بداية القرن العشريّن.

كان إذا التقى عشرة من العرب المتعلّمين لم يتمكّنوا من التّفاهم

بالعربيّة، وكانوا مجبرين على استعمال لغة أجنبيّة للتّفاهم بينهم، والآن هل يمكنك أن تحصى الجامعات العاملة في الوطن العربي، وكم خرّجت ممّن درسوا بها، وكم هم طلابها اليوم، وهل يمكنك أن تحصى مراكز البحوث والدّراسات، والمؤسّسات العلميّة والسّياسيّة والثّقافيّة الّتي يزخر بها الوطن العربي.

بل هل يمكنك أن تحصى العلماء العرب الّذين ينتشرون في العالم حتّى قيل بأن مليوني عربي من العلماء - ينتشرون من استراليا إلى الولايات المتّحدة مراراً بروسيا وأوروبا واليابان وأمريكا الجنوبيّة - حتّى إنّك لن تجد مكاناً ليس فيه عرب فعالون قادرون على التّأثير فيه على طول العالم شرقاً وغرباً.

أنا أومن بأنّنا نتقدّم، وأن مستقبلنا سيكون أفضل بلا شك، ولكنّني لا أنفي المخاطر والتّهديدات الجدّية، الّتي تحدّق بالوجود العربي، لغةً وثقافةً وديناً وإمكانات، وأهتم لهذه التّهديدات والمخاطر أكثر ما أهتم لأي شيء آخر.

إن من يستهدف وجودنا وحضارتنا وثقافتنا ولغتنا، هم كثيرون، يوجدون هنا بيننا، مجسدين في هذه الكيانات الّتي أقيمت من أجل أن تُحول دون قيام كيان أمّتنا الموحّد، وفي هذه التّدخلات الخارجيّة الّتي تؤسس لبذور الانقسام - على اختلافها - وهذا التّكالب الأجنبي على وطننا، بالاجتياحات العسكريّة والاحتلالات، إلى التّبيع

والتّخضيع، والتّشويه والتّزوير والتّزييف الّذي يركّز على إفناء الهويّة ومسخها وتذويبها، بالهجوم على الثّقافة وعلى اللّغة، وبالعداء المستحكم للإسلام الّذي تغذّيه الإمبرياليّة والصّهيونيّة، وتقود الهجوم ضدّه.

نحن نتعرّض للهجوم، يعتدون علينا، يحتلّون أرضنا، ويشوّهون هويّتنا، وينهبون ثرواتنا، ويزوّرون الحقائق، من أجل تشكيكنا في كفاحنا، ومن أجل إضعافنا حتّى لا نتمكّن من النّجاح في المقاومة وإحراز النّصر ضد خصومنا.

أمّتنا الآن في أتون المعركة، ويجب أن نكون قادرين على إدارة هذه المعركة بصلابة وبثقة في النّفس كاملة، لو لم نحسن تربية أجيالنا، لو لم نؤكّد ثقافة المقاومة ونرسخها، ونعمل على تفعيلها، قد نخسر معركتنا، وتبعاً لذلك قد نخسر وجودنا.

نحن نريد تحقيق النّصر في معركة الأمّة هذه، ونريد لأمّتنا أن تحمل رسالتها إلى العالم، وتساهم في بناء حضارة البشر بقسط وافر يتناسب مع قيمة هذه الأمّة العظيمة.

ومن هنا فإنّ مسئوليّة الجيل الجديد والأجيال الّتي تلي هي تحقيق النّصر في معارك المقاومة في العراق وفي فلسطين، وفي كل شبر من أرضنا يقترب منه العدو.

إن مسئوليّة الجيل الجديد هي أن يحمل الرّاية وألاّ يساوم على حقوق أمّته في الوحدة وإقامة كيان العرب القومي الشّرعي الموحّد في وطنهم.

إن أهداف أمّتنا مهما كانت صعبة، أو غالية الثّمن، لابدّ من تحقيقها، وسداد تكاليفها، وإلاّ فإنّ الموت ينتظر أمّتنا، وعندئذ سيلعننا أحفادنا، وأحفادهم، وسيلعننا التّاريخ، لأننا ضيّعنا مجدنا، وحقّنا، وفرّطنا في وجودناالمشروع.

□ كانت هزيمة عام 1967 قاصمة وقاسية وغير متوقعة خيبت كل الآمال والتوقعات، فاجعة أصابت الأمة العربية جمعاء، هل تعتقد أن تلك الهزيمة كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير؟

■ لقد تمّ تضخيم الهزيمة العسكريّة في عام 1967 ف، ضخّمها الثّوريون بقصد استثارة همّة الأمّة وتحريضها، وضخّمها الرّجعيون بقصد أن يفتوا بعضد الأمّة ويجعلوها فريسة لليأس والهزيمة، لكن الّذي حدث ليس أكبر من هزيمة فرنسا على يد ألمانيا، ولا من هزيمة ألمانيا على يد جيوش الحلفاء، وليست أكبر من هزيمة نابليون في روسيا، أو في أسبانيا أو في معركة واترلو، إنّها هزيمة عسكريّة عاديّة بجميع المقاييس، جرى تضخيمها لأغراض سياسيّة مختلفة.

إن الهزيمة الحقيقيّة، أو الهزيمة الكاملة، هي أن تقتنع بأنّ أهدافك لا يمكن تحقيقها، أمّا خسارة معركة، أو حتّى خسارة حرب، فهذه

مسألة عاديّة.

نحن حين ندخل المعارك، لا ندخلها فقط حين نضمن نتائجها، لو حدث ذلك لم تكن معارك حقيقيّة، وإنّما مسرحيات، ولكنّنا ندخل المعارك لأنّها واجبة وضروريّة، ونحاول أن نربح نتائجها، وأن نحقّق النّصر فيها بوسائل عديدة، قبل المعركة و أثناءها، وبعدها، ولكن إذا فاتنا شيء من حسن الإعداد للمعركة، أو أخفقنا في أن نوجد أشراط النّصر فيها.

فليس ذلك نهاية العالم، نحن مازلنا نقاتل، وسنربح معارك أخرى إذا أخفقنا في واحدة منها.

هذا هو منطق الأمم الفعّالة، ذات الإرادة الحرّة، والتّصميم الّذي لا يلين من أجل تحقيق أهدافها، والدّفاع عن مبادئها.

ساهم الزّعيم العظيم جمال عبد النّاصر في تضخيم الهزيمة العسكريّة عام 1967 ف، بإعلانه الاستقاله، وتصفيته لقيادة الجيش المصري باعتبارها قصّرت وأخفقت في إدارة الحرب.

وساهمت الجماهير في تضخيمها أيضاً، لأنّها كانت تثق بالزّعيم، ولم تكن تتوقّع خسارة الحرب.

وحين وقعت خسارة الحرب فوجئت بها، وكان ردّ فعلها اهتزاز الثّقة وتحميل المسؤوليّة، وبروز عناصر اليأس على أكثر من صعيد،

وخاصّةً على صعيد القيادات الّتي حلّت بالسّلطة بعد وفاة جمال عبد النّاصر.

وهؤلاء أيضاً ضخّموا من حدث الهزيمة، سعياً وراء منافع سياسيّة ضيّقة الأفق، وليبرزوا جهودهم الّتي أعقبت ذلك كما لو كانت إنقاذاً لمصر والعرب، من الكارثة الّتي حاقت بهم.

بعد وقوع الهزيمة العسكريّة تم امتصاصها بشكل سريع وحقّق العرب انتصارات جزئية في معارك أخرى على اليهود، أثناء حرب الاستنزاف على الجبهة المصريّة، وفي معركة الكرامة على الجبهة الأردنية، وفي عمليات الفدائيين على حدود الأردن وسوريا، وفي داخل فلسطين المحتلّة، وجرى العمل عاجلاً على تهيئة الجيش العربي في مصر وسوريا، للعودة لخوض الحرب، وذلك يوافق هذا التّحليل، من أن تلك الهزيمة كانت هزيمة عسكريّة، اقتصر أثرها في الواقع على الجبهة العسكريّة لبعض الوقت، رغم محاولات عدّة لاستثمارها في جبهات أخرى ولأغراض مختلفة، من قبل أطراف عديدة على رأسها الرجعيّة العربيّة، الّتي أرادت أن تعلن من خلال ذلك نهاية العمل الوحدوي بل ونهاية القوميّة العربيّة، ولقد فضحتهم الوثائق الغربيّة وأثبتت أنّهم كانوا قد دفعوا للكيان الصّهيوني أموالاً طائلة ليمكّنوه من تدمير الجيش المصري، حتّى يضطر عبد النّاصر إلى سحب جيشه من اليمن، وقد حصل ذلك.

ولقد فضح السّياسيون والعسكريون اليهود اتّصالات الحكّام العرب بهم وهم يتقاطرون سراً مثل اللّصوص، أو مثل بنات اللّيل ليبلّغوا عن تحرّكات عبد النّاصر وخططه ضدّ الإسرائيليين.

والدّليل على أن هزيمته 67 كانت عبارة عن خسارة معركة، فإن الجيش المصري بعد ذلك بسنة أو بسنتين استطاع أن يحقّق الرّدع في مواجهة جيش العدو، وأن يحقّق النّصر خلال خمس سنوات من ذلك التّاريخ، ولم يكن ثمّة بعير، ولم تكن ثمّة قشة، إلاّ في أذهان أولئك الموتورين الحاقدين المتآمرين الّذين مازالت تداعب خيالاتهم أوهام كاذبة عن نهاية الثّورة، ونهاية الوحدة، ونهاية القوميّة، ونهاية الإشتراكيّة.

إن الكارثة لم تحل في واقع الأمر عقب معركة 67 ف، ولكنّها حلّت حين قرر السّادات أن يتخلّى عن المعركة وأن يهرب إلى الأمام وأن يستغل النّصر من أجل الاستسلام وخيانة قضيّة العرب الأولى قضيّة تحرير فلسطين، إن تلك الخيانة بالاعتراف بالعدو الصّهيوني هي القشّة الّتي قصمت ظهر الرّجعيّة إلى الأبد ووصمتها بالخيانة إلى الأبد ولم يعد في يدها غير أن تقبل بهذه الحقيقة وهي إن الرّجعيّة لا وطنيّة لها، ولا دين، ولا قضيّة.

فالسّادات هو الّذي دمّر المنظومة العربيّة والعمل العربي المشترك باتّخاذه قراراً فرديّاً بالاعتراف بالعدو، وإنهاء الحرب معه.

وكان قرار الجامعة العربيّة صائباً ومناسباً لهذا الموقف الأرعن والغبي والبائس، حين قرر تجميد عضوية مصر بالجامعة وقطع العلاقات مع مصر وسحب الجامعة منها إلى تونس.

غير أن الرّجعيّة لم يقف أذاها وخيانتها عند حد معين فإنها ما فتئت تسعى إلى مراجعة مواقف الجامعة الصائبة في تلك المرحلة من الخيانة الّتي تمثّلت في الإعتراف بالعدو، والتّخلي عن واجب مواجهته ومقاومته.

فإنها سعت سرّاً وعلناً إلى إعادة علاقاتها مع مصر وأعادت إليها الجامعة العربيّة دون قيد ولا شروط كما لو كانت الجامعة العربيّة مخطئة ومذنبة حين انتقلت من مصر وجمّدت عضويتها، أعادوا علاقاتهم دون أن يطلبوا من مصر شيئاً تصلح به ما أفسدته حكومتها المرتدّة عن الثّورة وعن الوحدة وعن المقاومة، فلم يطلبوا منها مثلاً: أن تمنع الكيان الصّهيوني من عبور قناة السّويس، أو أن تجبره على الاعتراف بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم وبيوتهم ومزارعهم، أو حتّى تطلب من العدو، الذي اعترفت به وصارت لها به علاقات سياسيّة أن يتخلّص من أسلحة الدّمار الشّامل الّتي لديه، بل إنّ الرجعيّة العربيّة والنّظام الرّسمي العربي المتهالك أقام علاقات مباشرة مع العدو الصّهيوني كل دويلة على حده.

فباستثناء ليبيا وسوريا ولبنان، أقامت الدّول العربيّة جميعها علاقات مباشرة مع الكيان الصّهيوني بسفارات علنيّة، أو بمكاتب ارتباط (وهو اسم آخر للسّفارات لديها) وبملحقين، وبمكاتب رعاية المصالح.

وقد فتحوا البلاد العربيّة للقواعد والجيوش الغربيّة وخاصّة الأمريكيّة فتواجد أكثر من مليون جندي أجنبي في الخليج، وعقدت اتّفاقيات لتسمح لأمريكا باستخدام أراضي بعض الدّول العربيّة ووسائطها العسكريّة، وإمكاناتها الجغرافيّة والإستراتيجيّة والإداريّة، حتّى بدون استئذانها.

وقد لا يتّسع المجال لك لأسرد لك كل شيء في هذا الموضوع، فما هو الدّاعي يا ترى لتضخيم هزيمة 67 ف، أهو لإخفاء ما كان أعظم، ممّا يحدث اليوم ويحاولون أن يجدوا له مبرّراً، لن يجدوه أبداً، لأن الأمم يا أخي تخسر المعارك وتحارب من أجل حقوقها، وتناور وتداور لبعض الوقت لكنّها لا تتخلّى عن قيمها ومبادئها ولا تخون نفسها، فتتحوّل إلى حارس لمصالح العدو كما تفعل الحكومات العربيّة الآن.

بالله عليك أين هزيمة 67 مما حدث للعراق الآن؟ على يد بعض الرّجعيّين العرب الّذين أدخلوا القوّات الأمريكيّة إلى بغداد، وقتلوا مليوني عراقي وشرّدوا اثني عشر مليون عراقي، ودمّروا أكثر من

أربعمئة مدينة وقرية، وجعلوا المشرق العربي كله تحت الاحتلال ورهنوا أنفسهم وأهليهم لعدوّهم وعدو دينهم وعدو بلادهم.

□ **في اعتقادكم ما الذي قتل أنور السادات عبوره خنادق العدوّ أم عبوره نحو الكنيست الإسرائيلي؟**

■ قتله الله سبحانه وتعالى، وهو يحاول أن يشمت بالعرب والمسلمين، ويقول لهم بأنّ الخيانة هي طريق «العظمة» والتّجبّر، والطّغيان، فأذلّه الله وأسقطه تحت أقدام عبيده وحرّاسه مثل خرقة بالية لا قيمة لها.

سقط السّادات قتيلاً بسبب ما اقترفته يداه وما جناه على مصر والعرب والمسلمين. لقد كان يمكن أن يجعله العرب صلاح الدّين آخر لو لم يفرّط بنصر حرب أكتوبر، ولم يبع القضيّة بكاملها للعدو.

لقد خان وجزاء الخيانة القتل، لقد ارتد وجزاء الرّدة القتل.

هذا هو حكم التّاريخ على ما جرى، ولا داعي لكثرة الكلام.

□ **هل ثمة كتب قادرة على تغيير حياة الكاتب إلى الأبد؟ أي كتاب قرأته غيّر حياتك أو جزء منها؟**

■ بالتّأكيد، تستطيع الكتب أن تغيّر حياة من يقرؤها، وكثير من النّاس تأثّروا بما قرؤوا من الكتب، ورغم أنّني استفدت كثيراً مما أتيحت لي فرص قراءته، إلا أنّي لا يمكنني أن أحدّد كتاباً معيّناً

أحدث تغييراً غير عادي، أو غير متوقّع في حياتي.

لا أذكر شيئاً غير عادي طرأ على حياتي عند قراءتي، كنت أقرأ عندما أجد الوقت لذلك وأجد الرّغبة من نفسي، ثم أنسى ما قرأت، وربّما لا أتذكّر حتّى اسم الكتاب، أو اسم كاتبه في بعض الأحيان، وقد يرسخ في ذاكرتي بعض ما قرأت ولا يزول.

□ ما هي أكثر محطّة أثارتك في حياتك واستفزّتك بشكل مباشر؟

■ كثيرة هي المحطّات الّتي تثير الإنسان أو تستفز مشاعره، أو تلصق بذاكرته، لكنّها ليست جميعاً ثقافيّة أو سياسيّة.

بعض ما أثارني واستفزّني موقف العرب من احتلال العراق، وموقفهم من اغتيال الرّئيس صدّام حسين، وموقفهم المخزي من المقاومة العراقية.

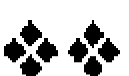
□ ما هي حجة بعض الأنظمة العربية التي تمنع عن شعوبها حقها في الحياة؟

■ هل تريدني أن أقوم بدور المحامي عن هذه الأنظمة وأعبّر عن حججها ومبرّراتها إذا حرمت شعوب الأمّة العربيّة من حقّها في الحياة،! أصدقك القول: لم أفهم السّؤال، كيف تمنع عن شعوبها حقّها في الحياة؟!

هي تمنع عنها حقوقها المشروعة، مثل حقّها في الحرّية

والاستقلال. حقّها في إقامة حياة جديرة بالعصر. حقّها في إقامة الكيان القومي الشّرعي الموحّد للأمّة، وهو الكيان الّذي يمكّنه أن يحمي مستقبل هذه الأمّة، إلى آخر الحقوق المشروعة لأمّة من الأمم.

لكن حجّة الحكومة في ذلك لا يمكنني التّعبير عنها ولو قالوا ما شاؤا من الحجج ما صدّقتهم ولا استمعت إليهم.



□ **ما تعليقكم في كلمات بخصوص الأسماء المذكورة التالية؟**

- جمال عبد النّاصر!

■ روح علوية نفثها الله تعالى في العرب والمسلمين.

□ **ياسر عرفات!**

■ رجل.. أصاب وأخطأ.

□ **هواري أبو مدين!**

■ هو رجل سياسة.

□ **صدّام حسين!**

■ استشهاده.. غفر له.

□ **محمود درويش!**

■ شاعر وقضية.

□ **أحمد فؤاد نجم!**

■ ضمير مصر الحي.

□ **مظفر النواب!**

■ صناجة العرب المعاصرة.

□ **لينين!**

■ قدرة الرّجال البسطاء.

□ **ماركس!**

■ مناضل أحبّ الفقراء.

□ **ماوتسي تونغ!**

■ شاعر حقّق أحلامه.

□ **نيلسون منديلا!**

■ رجل صبور.

□ **هتلر!**

■ الجنون رجلاً.

□ **فيروز!**

■ الملائكة تغنّي.. أيضاً.

□ **ابن خلدون!**

■ العلم لا يكفي وحده.

□ **المتنّبي!**

■ مقتل الرّجل بين فكّيه.

□ **روجيه جارودي!**

■ الإخلاص أصبح فلسفة.

□ **سلمان رشدي!**

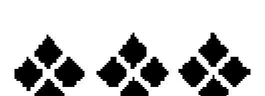
■ الخيانة مهْلكة.

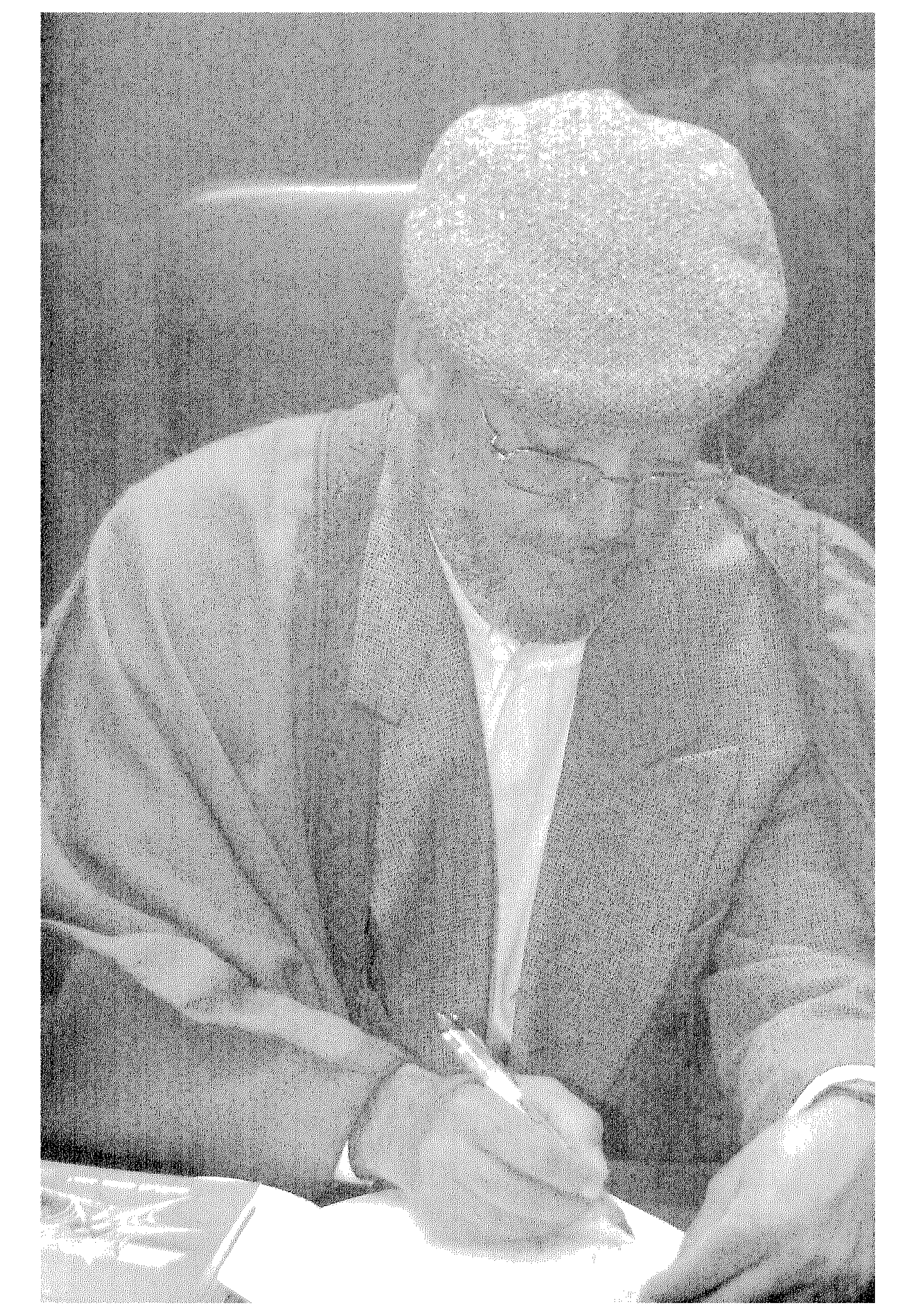
□ **حسن نصر الله!**

■ قالوا عنه «سيّد المقاومة».

□ **أسامة بن لادن!**

■ لم أفهمه.. وربّما لن أفهمه.






العرب كانو هنا قبل أي أحد آخر
ويبقون أخيراً بعد أي أحد آخر
يرثون الأرض وما عليها بوعد الله الصادق
الذي لا يخلف وعده
نحمل رسالته
ونقيم ناموسه في كونه، وعلى ملكوته
على المحجة البيضاء
فلا تتخطفنا السّبل التائهة
فتفرّق بنا عن سبيله .